20 me. année No 974

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 3-3-

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٣ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

فقاقيع

للأستاذ سيد قطب

الذين يدعوننا إلى الخلاص والحرية والعدالة الاجتماعية باسم القومية الضيقة التى تحد بالبحر الأبيض شمالا ، وبالبحر الأحمر شرقا ، وبصحراء ليبيا غربا، وبخط الاستواء جنوبا.. أو دون ذلك

والذين يدعوننا إلى الخلاص والحرية والعدالة الاجتماعية باسم الشيوعية أو غير الشيوعية من المذاهب المادية التى نشأت وعاشت فى بيئات غريبة عنا ، لا تربطنا بها صلة روحية ولا تاريخية ...

هؤلاء وهؤلاء يخطئون فهم طبيعة هذا الشعب ، وقوة العوامل الكامنة فى ضميره ، والرواسب الشعورية التى تحركه ، وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة ..

لهذا تفشل هؤلاء وهؤلاء فشلا ذريعا ، وتبدو حركاتهم كالفقاقيع التى تعلو وجه الماء فترة ، ثم تفثأ وتتوارى !

هذا الفشل منشؤه كما قلت : جهل هؤلاء وهؤلاء بطبيعة هذا الشعب ، وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة . يضاف إليه عدم فهمهم لحقيقة موقف هذا الشعب فى العالم ، وللعوامل الدولية التى تجعل الشعوب تختار طريقا دون طريق ..

إن دعوة القومية الضيقة ، التى تنزوى داخل حدود صناعية أو تخوم جغرافية .. دعوة تنافى الاتجاه العالمى إلى الاندماج فى وحدات ضخمة ، تمهيدا للحلم البشرى الكبير .. حلم الوحدة العالمية الكبرى .. وهى تخالف كذلك فكرة الإسلام الذى تدين به غالبية هذا الشعب .. فالوطن الإسلامى هو كل أرض يظلها لواء الإسلام . ومن ثم فهو يزيح الحواجز الصناعية والتخوم الجغرافية ، ويحل محلها فكرة ، تندمج فى ظلها كتلة بشرية ضخمة ، تحاول دائما أن تضم إليها بقية البشر ، تحقيقا للهدف الإسلامى الأكبر .. هدف الوحدة العالمية الكبرى

ومن هذا الاستعراض السريع للاتجاه العالمى اليوم ، والاتجاه الإسلامى منذ مولد الإسلام ، يتبين مدى نظرة الإسلام التقدمية فى الماضى وفى الحاضر على السواء . ويتكشف أن الفكرة الإسلامية كانت سابقة لتطورات الفكر البشرى قرونا وقرونا . وما تزال فكرة قائدة هادية ، ذات مجال فسيح فى بناء مستقبل البشرية .. كما يتكشف مدى الضيق والانعزال والتأخر فى دعوات القومية الضيقة التى عمت أوربا فى القرون الماضية ، ومرت إلينا عدواها فى غيبة الروح الإسلامية الراقية السمحة التقدمية ، وفتنت بما فيها من تعصب ضيق ، بعض صغار العقول والنفوس ، ملبية دسيسة الاستعمار فى تمزيق أوصال المجتمع الإسلامى الضخم ، والوطن الإسلامى الكبير ، ليسهل على الاستعمار ازدراد أشلائه الممزقة باسم القوميات الضيقة الهزيلة ، وتحت العنوانات الشتى المتفرقة !

ومن هنا كانت تلك الفقاقيع التى تحمل شتى العنوانات فى شتى أنحاء العالم الإسلامى . وكانت تلك الزعامات الصغيرة التى تهتف باسم القومية ، وتدعو إلى العزلة من مشكلات العالم الإسلامى ، وتسخر ممن يدعون إلى وطنية الإسلام الضخمة ،

وإلى التكتل الإسلامي الكبير

ولقد كانت تلك الزعامة البائسة التي قادت ثورة سنة ١٩١٩ في مصر مثلا من أمثلة ضيق الأفق، والانعزال عن الفكرة الإسلامية والهدى الاسلامي، والانعزال تبعا لذلك عن الاتجاه العالمي في التكتل، والنظرة التقدمية لمستقبل البشرية

ومن هذا الضيق والانعزال عن الهدى الاسلامي، جاءت الكوارث كلها، وطال أمد الصراع مع الاستعمار، ووقع ذلك الانحلال الخلقي، والانهيار الاجتماعي، وذلك الفساد الذي تعانيه البلاد، وبفتت كيانها تفتيتا ..

لقد كانت تلك الزعامة فقاعة صغيرة، في زبد الوثبة المصرية الكبرى. ولكنها مع الأسف حولت تلك الوثبة كلها إلى زبد ذهب كله جفاء ...

وما تزال مصر، وما تزال الشعوب الاسلامية تصارع ذلك الخبث الذي دسه الاستعمار في تفكيرها. خبث القومية الضيقة المزيلة، التي تخدم الاستعمار ولا تخدم الشعوب .. ما تزال تصارع ذلك التمزق في جسم الوطن الاسلامي الكبير، في ضوء الفكرة الاسلامية التي انبثقت هنا وهناك، وتتجمع تحت الراية الاسلامية الخالدة، أو تتنادى إلى هذه الراية الكلية الواحدة. التي تحول الوطن الاسلامي كله وحدة تتفق مع الاتجاه العالمي السائر إلى التكتل والاندماج، وحدات كبرى تجمع بينها نظم وأفكار؛ لا حدود جغرافية، ولا قوميات جنسية أو لغوية

إنهم يفيئون شيئا فشيئا إلى النور الذي انبثق منذ أربعة عشر قرنا، سابقا لتفكير البشرية كله، فلم تدركه إلا في القرن العشرين. وما يزال هذا النور سابقا لما وصلت إليه البشرية في التفكير

فأما دعوة الشعوب الإسلامية إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب المادية الأخرى، فهي دعوة مضحكة تثير الهزء والاستخفاف بتلك الفقاقيع الآدمية التي تدعونا إليها ؟

إذن ما الذي يدعو شعوبا بأسرها، يتجاوز تعدادها ثلثمائة مليون مسلم، في شعاب هذه الأرض، إلى التخلي عن فكرة أو عقيدة عاشت في ظلها أربعة عشر قرنا ؟ ..

فكرة سبقت الشيوعية سبقا بعيدا في التفكير الإنساني المنظم لقيام وحدة عالمية، مقوماتها فكرة ونظام، لا حدود جغرافية؛ ولا أجناس بشرية، ولا ألوان ولا لغات. وبذلك كانت وما تزال فكرة تقدمية سابقة لقيادة البشرية كلها في طريق المستقبل؛ حافلة بالإمكانيات العملية المنظمة لتحقيق هذه القيادة الرشيدة ؟

فكرة سبقت الشيوعية سبقا بعيدا — لا من ناحية الزمن وحده ولكن من ناحية طبيعة الفكرة وإمكانياتها — في تحقيق أساس صالح للوحدة العالمية، بريء من التعصب والقهر والكبت لأنها تسمح لكل عقيدة دينية أخرى أن تعيش في ظل هذه الوحدة، متمتعة بالحماية والرعاية والمشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، فلا تفرض نفسها على الناس، ولا تحرم مخالفيها حق الحياة والنشاط، كما تحرمهم الشيوعية؛ ولا تفرض عليهم دكتاتورية رجل ولا دكتاتورية نظام كما تفرض الشيوعية في القرن العشرين !

وأخيرا فهي فكرة سابقة في تحقيق عدالة اجتماعية كاملة، لا تصطدم بالفطرة البشرية .. ولا تقيد النشاط الفردي. في ذات الوقت الذي تقف كل نشاط فردي دون المساس بالمصلحة العامة. وتجعل نتاجه كله ملكا للجماعة التي تعيش فيها

إن دعوة شعوب تملك مثل هذه الفكرة إلى نبذها لاعتناق الشيوعية أو سواها تبدو دعوة مضحكة، لا يحاولها إنسان يحترم نفسه، إنما تصلح فقاعة هزيلة، ينادي بها بعض الشواذ، الذين يعانون عقدا نفسية مرضية، يجدون في الدعوة إلى الشيوعية تنفيسا عنها وراحة !

إن الدعوة الإسلامية تكتسح وتجرف كل هذه الفقاقيع في هذه الأيام. تكتسح فقاقيع القومية الضيقة المزيلة في العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه. وتكتسح فقاقيع المبادئ المادية على اختلاف مسمياتها .. وهذا الاكتساح هو الذي يتفق مع طبائع الأشياء. ويتفق مع طبيعة هذا الشعب وتفكيره. ويتفق في ذات الوقت مع الاتجاه العالمي المقبل: الاتجاه إلى تأليف كتل ضخمة تخضع لنظام وفكرة. في الطريق إلى تحقيق الحلم البشري الكبير .. حلم الوحدة الإنسانية الكبرى ...

فأما الزبد فيذهب جفاء. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

سيد قطب

المرأة المسلمة

للاستاذ علي الطنطاوي

أنا أغتاظ وأتألم كلما سمعت الناس يضربون الأمثال بنساء اليهود: بقتالهن في الحروب وعملهن في المعامل والحقول، لأني أجد في ذلك جهالة بتاريخنا، وبسلائقنا، وبما كانت عليه المرأة منا

إنكم تحسبون أن نساء العرب كن — مذ كن — كأكثر من نرى من النساء، جاهلات خاملات، يثرن المشكلات، وينغصن عيش الرجال، أو مترفات مدللات همهن صبغ الوجوه، وتلوين الأظفار، وإنفاق الأموال، فتعالوا أخبركم كيف كانت المرأة على عهد الرسول، صلوات الله عليه، كيف عملت في بناء هذا الصرح المعظم، وشاركت في إقامة الدولة الإسلامية، وكيف سمى نساء من النساء في كل مجال كان يسمى فيه الرجال، في مجال الدين والتقوى، ومجال العلم والأدب، ومجال المعارك والحروب

وكيف كان منهن (المرأة العاقلة) الحكيمة كخديجة التي وضعت ثاني حجر في صرح الدعوة، وكانت ركنا قويا للاسلام في فجر الإسلام، والتي أخذت بيد النبي صلى الله عليه وأيدته بمالها الكثير، وقلبها الكبير

و (المرأة العالمة) الملهمة كعائشة التي كانت أستاذة عصرها، وكان فحول العلماء تلاميذ لها، وكانت أعجوبة في سعة روايتها، وحدة تفكيرها، وبلاغة لسانها، وقوة جنانها، حتى دفع بها نشاطها إلى ما ليس من شأنها، فاقتحمت ميدان السياسة وما خلقت له وما خلق لها، لا باللسان والرأي بل بالنار والحديد، فكان من ذلك ما كان

و (المرأة الأديبة) التي خدمت بالدعاية اللسانية، وبالشعر يوم كان الشعر هو الصحافة وهو الإذاعة وهو سبيل الدعاية (١) لا سبيل غيرها، كصفية، ونعم بنت سعيد، وهند بنت أثاثة لما انتهت معركة أحد على غير ما يبغي المسلمون، بمخالفة من خالف منهم عهد الرسول، وقامت هند بنت عتبة على صخرة تقول

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سعر

انبرت لها بنت أثاثة ترد عليها. تقول لها:

خزيت في بدر وبعد بدر   يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر   بالهاشميين الطوال الزهر

و (العاملة في المصالح العامة) كأسماء بنت الصديق، يوم الهجرة، حين كانت تحرس منافذ الأخبار إلى قريش، وتحمل الطعام إلى المهاجرين العظيمين وتصبر على عدوان قريش عليها. ولطم الفاسق أبي جهل خدها لتخبره أين رسول الله، فلا تخبره، وحين قدت نطاقها، فربطت بشقه السفرة وانتطقت بالآخر، فدعيت من ذاك بذات النطاقين

وأنتم تعرفون موقفها العظيم، العظيم، يوم قتل ابنها أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، ذلك الموقف الذي لم يكد يروي التاريخ موقفا مثله لأخرى من بنات حواء

و (المرأة في الدفاع السلبي) بل الدفاع الحربي، كما صنعت صفية لما كانت في الحصن مع النساء وكان الصبيان والرجال في الجبهة، فرأت يهوديا يطيف بالحصن مخافته على النساء والصبيان أن يؤذيهم أو يدل العدو عليهم، فشدت وسطها ونزلت إليه بالعمود، فضربته حتى قتلته

كان نساؤنا يقتلن أبطالا .. فيهود، فصار نساء اليهود، بفضل سادتنا وأمرائنا ... يقتلن رجالنا!

٭ ٭ ٭

وكان منهن (الممرضة المواسية) كرفيدة التي جعلت من خيمتها مستشفى سيارا، تداوى فيه الجرحى، وتحبس نفسها على خدمتهم، والترفيه عنهم، ترفيه الحق لا ترفيه الفسوق والفجور ... ولما أصاب البطل الخالد سعد بن معاذ السهم يوم الخندق قال رسول الله: اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب

وكان النساء يخرجن مع الرسول، وشهد خيبر منهن جماعة أعطاهن من الفيء، لا يخرجن للجهاد بأعراضهن وفتنة المجاهدين بجمالهن، بل للعمل في (الوحدات الصحية) والحراسة والتحميس

(١) الدعاية صحيحة وإن كره المتحذلقون أصحاب (الدعاوة)!

والاشتراك في القتال إن دعت الضرورة إلى القتال

والقائمات بمثل أعمال (الكمندس) في هذه الحرب ...

أغار عيينة بن حصن على لقاح رسول الله صلى الله عليه في (الغابة) فاستاقها ، وكان فيها رجل من بني عقار وامرأته فقتلوا الرجل ، وسبوا المرأة ، فلم تجزع ولم تفزع ، ولم تبك ولم تولول ، بل قاومتهم مقاومة اللبؤة (١) حتى أفلتت منهم على ناقة من إبل الرسول فوردت بها عليه ، فقالت : يا رسول الله ، إني نذرت أن أنحرها إن نجاني الله عليها ، فتبسم رسول الله وقال : (ليعلم المسلمين) : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ، ونجاك بها ، إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين

* * *

وكان منهن (المرأة الصابرة) على ما يعجز عنه الصبر ، ويضيق عن احتماله الصدر. لقد أصيبت حمنة بنت جحش يوم أحد بأخيها عبد الله ، وخالها حمزة سيد الشهداء ، وزوجها مصعب رائد الإسلام ، فثبتت كيلا يرى وهنها المشركون ، وفي قلبها مثل حز المواسي .

وهذه امرأة من بني دينار ، قتل زوجها وأخوها وأبوها في الوقعة ، فلما خبرت بهم ، بلغ بها عظم الإيمان أن سألت : ما حال رسول الله ؟ فلما قالوا لها : هو حي ، قالت : كل مصيبة بعده هينة

ومنهن (المرأة المقاتلة) التي تأتي بالبطولات

هذه أم عمارة — نسيبة المازنية — خرجت لترى ما يصنع الناس ، ومعها سقاء ماء لتسقي العطاش من الجند ، وكانت الدولة والصولة للمسلمين أول النهار ، فلما انهزم المسلمون ، وداخلتهم الدهشة لما كان من هبوط الرماة عن أحد ، وكرة فرسان المشركين ، كانت هذه المرأة أثبت من الرجال قلباً ، وأجرأ يداً ، فلم تنهزم ولم يجرفها التيار ، بل أخذت سيفاً من ساحة المعركة ، وجعلت تدافع مع الرسول ، حتى أثخنتها جراحها

قالت أم سعد راوية الخبر : وكشفت لي (أي أم عمارة) عن عاتقها بعد سنين طويلة ، وإذا جرح غائر أجوف ، قلت : من أصابك بهذا يا خالة ؟ قالت : ابن قمئة أقمأه الله . لما ولى الناس ، أقبل يقول : دلوني على محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضت له

يا أيها القراء ، أرجو أن تقفوا لتتصوروا الموقف : الجيش مهزوم ، وهذا الفارس يهجم بسلاحه وجبروته كالثور الهائج ، والرجال تنحي عن طريقه ، وهذه المرأة العربية المسلمة ، تعترض له ، وتثب في وجهه تسد طريقه إلى محمد ، فيضربها فلا تزيح بل تضربه بسيفها ، فلا ينجيه إلا أنه بدرعين !

قالت : فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته مع ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان !

وهذه أم سليم تثبت في هوازن في الموقف المهول الذي انصدعت فيه أفئدة عشرة آلاف بطل ، فانهزموا إلا رسول الله وصحابته الأدنين ، فالتفت فرأى أم سليم ، مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها ببردها ، وإنها الحامل ! وتمسك جملها وقد أدخلت يدها في خزامه ، قال :

— أم سليم ؟

— قالت ، نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك ، كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل

قال : أو يكفي الله يا أم سليم ؟

ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة :

— ما هذا الخنجر معك ؟

— قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به

قال أبو طلحة ، مفتخراً بها ، مداعباً إياها :

— ألا تسمع يا رسول الله ، ما تقول أم سليم الرميصاء ؟ وهي حامل يا ناس ! وهي حامل !!

* * *

أما معاملته صلى الله عليه النساء ، فكانت أروع مثل يضرب به السيد المهذب ، والبطل النبيل ، والأب الحاني ، والصديق الوفي ، ولا يتصور الوهم أرق منها معاملة ولا أعطف ، ولا أنبل

(١) من أعجب العجب أن يكون لكلمة اللبؤة عند عامة مصر ذلك المعنى القبيح ، وهي أم الأسود

ولا أشرف ، ولا أحب أن ألخص لكم هـذا النص التاريخي ، فاسمعوه بالحرف، من فم فتاة صـغيرة من آل غفار ، متطوعة في الجيش ، قالت :

أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار ، فقلنا : يارسول الله؛ قد أردنا أن نسير معك إلى وجهك هذا (وكان متوجهاً إلى خيبر) فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بمـا استطعنا ، فقال : على بركة الله

فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة (أي صبية صغيرة) ولم يكن لي ما أركبه ، فأردفني رسول الله وراءه على حقيبة رحله ، فو الله لنزل رسول الله لصـلاة الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبـة رحله وإذا بهـا دم مني ، وكانت أول حيضة حضتها ، فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول ما بي ورأى الدم قال :

— مالك ؟ لعلك نفست ؟

— قلت : نعم

— قال : أصلحي من نفسك ، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً فاغسلي به ما أصاب الحقيبة ، ثم عودي لمركبك

* * *

وأمر رسول الله بعد هوازن بالقبض على مجرم يقال له بجاد من بني سعد بن بكر فساقوه وأهـله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث فعنفوا عليها في السياق ، فقالت :

— تعلموا (أي اعلموا) أني أخت صاحبكم من الرضاع

فلم يصدقوها ، فلما انتهوا إلى رسول الله قالت :

— يارسول الله . إني أختك من الرضاع

قال : ما علامة ذلك ؟

— قالت : عضة ، عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك

فعرف العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وقال :

— إن أحببت فعندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك

فاختارت الرجوع إلى قومها

* * *

ولعلكم تقولون : كيف كان هـذا الاختلاط ؟ كان على الصون والحجاب الشرعي ، وعلى غض البصر ، وامتلاء القلوب بالخوف من الله ، وبالغاية التي تشـغل عن شهوات النفس ، ومع ذلك فإن الله علمهم درساً عظيماً في ضرر خلوة رجل بامرأة ليس معهما ثالث ، اتهمت فيـه أشرف امرأة في الناس ، وكاد الناس يصدقون التهمة ، حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات

هكذا كانت المرأة العربية المسلمة ، جمعت أطراف الفضائل ، وحازت خلال الخـير ، وكانت للدين والدنيا ، للعـلم وللأدب ، للدار وللحياة ، كان هديهـا القرآن ، ودليلها الشرع ، وغايتها رضا الله ، والنجاة في الآخرة

فأين نساؤنا اليوم ؟

علي الطنطاوي

ذو العقل يشقى ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

لولا أني أكره خلائق السوء، لما حملت هذا القلم لأرد به على هذا الذي تكلف مؤونة الجدال عن صاحبه، ولولا أنه كتب ما كتب في الرسالة، وهي مألف قديم يحن إليه هذا القلم، لما غلبني على ما أدبت به نفسي من هجر صغائر الأمور. ومن خلائق السوء عندي أن يجهد كاتب قلمه في نقد ما أكتب، ثم أغفل رده إلى الحق إن أخطأ، أو متابعته على الصواب إذا أصاب. ومهما يكن رأيي فيما كتب الأستاذ، فإني أجد الحق يلزمني أن أعود إليه بالتذكير والإبانة، غير متلجلج في استنقاذه مما تورط فيه، ولا مستنكف أن يكون في بعض كلامي هذا تكرار لما قلت، مما أرجو أن يكون إنما غفل عنه غير متعمد إن شاء الله.

وأنا أقدم بين يدي الأستاذ الفاضل، معذرتي في أن أسامحه فيما وصف به ما كتبت، وما وقر في نفسه وأبان عنه بقوله إني اندفعت في سياق منبري، أسرد الأدلة الخطابية، وأستثير النوازع العاطفية. وكان خليقاً به قبل أن يقول ما قال، أن يعرف أسلوبي فيما أكتب، ثم ينظر إلى بعيني مبصر يتحقق: أصحيح أني ألجأ إلى الخطب المنبرية، والأدلة الخطابية، والنوازع العاطفية، أم الحق أني أتحرى أمراً أنا مسئول عنه بين يدي رب، أو على الأقل: أعتقد أنا أني مسئول عنه بين يديه سبحانه؟! وإذا كان كثير من الناس قد نسوا أنهم محاسبون يوم القيامة، فإني لم أنس بعد، وأسأل الله أن يعينني على أن لا أنسى، وإن عد الأستاذ الفاضل هذا الكلام أيضاً خطبة منبرية، أو استثارة عاطفية!

ولعل قراء الرسالة، لم يقرأوا ما كتبت في مجلة «المسلمون» ولست أحب أن أعيد عليهم ما كتبت هناك، ولكني أحب أن أبين لهم عن أصل هذا النزاع الذي نازعنيه الأستاذ الفاضل. وذلك أني رأيت كاتباً بسط لسانه بسطاً مريضاً في دين جماعة صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم: معاوية بن أبي سفيان، وأبوه أبو سفيان، وأمه هند بنت عتبة، وعمرو بن العاص. ثم أدخل معهم سائر بني أمية. وزعمت في هذه المقالة أيضاً أني لن أناقش منهجه التاريخي: «لأن كل مدع يستطيع أن يقول: هذا منهجي، وهذه دراستي» وقلت: «وأيضاً فإني لن أحقق في هذه الكلمة فساد ما بني عليه الحكم التاريخي العجيب، الذي استحدثه لنا هذا الكاتب، بل أدعه إلى حينه» وقلت: «بل غاية ما أنا فاعل: أن أنظر كيف كان أهل هذا الدين، ينظرون إلى هؤلاء الأربعة بأعيانهم، وكيف كانوا — هؤلاء الأربعة — عند من عاصرهم ومن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم».

وأظن أني بهذه الكلمات قد حددت كل التحديد غايتي فيما أكتب. أظن ذلك، وأظن أيضاً أن لكل كاتب بعض الحرية!! في أن يحدد ما يريد لنفسه في سياق ما يريد أن يكتب. وبخاصة إذا كان يريد أن يعرف الناس بشيء هم قد غفلوا عنه، وبخاصة في زمن أصبح العلم فيه لحاجات تكتب كما تكتب مقالات الصحف اليومية في المنازعات الحزبية! وبخاصة في أمر فيه نذير شديد من الله سبحانه! وبخاصة إذا كان هذا الكاتب يؤمن بأن الإنسان مسئول بين يدي ربه عن كل ما يقول وكل ما يكتب وكل ما يفعل!

بيد أن الأستاذ الفاضل ظن أنه كان يجب علي أولا غير هذا. إذ ظن أن صاحبه نقد معاوية نقداً تاريخياً، فطالبني أن أبين أن الوقائع التي ذكرها في كتابه غير صحيحة، ثم زاد شيئاً آخر خيل إليه فزعم أني لا أستطيع أن أفعل شيئاً من ذلك، لأن صاحبه نقلها من كتب التاريخ ولم يخترعها اختراعاً، ولأنها معروفة لدى الصغير والكبير؟! فأظن أنا أيضاً أني بينت من طريق في الكلمات التي نقلتها آنفاً، وأني سوف أترك هذا إلى حينه، فلست أدري لم يعجل الأستاذ الفاضل كل هذه العجلة على امرئ مثلي، فيضربه بالعجز من ذلك قبل أن يبين عن حجته؟ فهذه العجلة هي التي أنكرها على صاحبه، وأنكر أن تكون أدباً يتأدب به العالم أو المتعلم، ومن الحق على كل عاقل أن ينهى نفسه عنها، وأن ينهى من يرتكبها، لأنها مخالفة لكل أصل من أصول العلم والتعلم، ولأنها تورث مرتكبها نفس الداء الذي أتى منه صاحبه الذي تهجم على ضمائر خلق الله، فكاد يقطع

قطعاً جازماً بنفاق معاوية وأبي سفيان وهند وعمرو بن العاص وسائر بني أمية ! من أين يسلم أني عجزت أو أني سوف أعجز ؟ لا أدري !

ومثل هذا في الجراءة ما أتبعه من أسئلة إذ يقول :

« من الذي ينكر أن معاوية حين صير الخلافة ملكا عضوضاً لم يكن ذلك من وحي الإسلام ، إنما كان من وحي الجاهلية ؟

« ومن الذي ينكر أن أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها، وما كان الإسلام لها إلا رداء تلبسه وتخلعه حسب المصالح والملابسات ؟ ...

« ومن الذي ينكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه على المسلمين مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟

« ومن الذي ينكر أن معاوية قد أقصى العنصر الأخلاقي في صراعه مع علي ، وفي سيرته في الحكم بعد ذلك إقصاء كاملا لأول مرة في تاريخ الإسلام ، وقد سار في سياسة المال سيرة غير عادلة ، فجعله للرشوة واللهى وشراء الضمائر في البيعة ليزيد؟

« هذه وأمثالها أمور مسلمة في التاريخ ، لا يستطيع الأستاذ شاكر أن ينكرها بحال . ونحن نعجب كثيراً حين نجده في مقاله يلبس مسوح الوعظ والإرشاد ... »

نعم ياسيدي الشيخ ! نعم ! فإني لمحدثك عمن ينكرها : أنا أنكر هذا كله وينكره المؤمنون من قبلي . وإذا كنت أنت وصاحبك تسلمان بها ، فأنا لا أستطيع أن أسلم بها . وتقول : هذه دعوى ليس عليها بينة ! فأقول : نعم ، هي في هذا السياق ليس عليها بينة ، إلا أن آتيك بالدليل على بطلان ما ذهب إليه صاحبك الذي توليت الدفاع عنه . بيد أنك أسأت حين عجلت إلى شيء لم تعرف ماذا أقول فيه ، وكيف أستطيع أن أتناوله بالنقد والتمحيص . ولو أنت صبرت حتى تعرف لأتاك البيان عما أنكرت وما عرفت من أخبار صاحبك ، التي وصفتها بأنها متلقفة من أطراف الكتب ، لا أقول بلا تمحيص وحسب ، بل أقول أيضاً بالحرص الشديد على تتبع المثالب القبيحة، وبالحرص المتلهف على اجتناب المناقب الفاضلة ، وبالغلو الأرعن في سياق المثالب وفي تفسيرها ، وفي تحليلها ، وفي استخراج النتائج من مقدمات لا تنتجها ، كما يقول أصحاب المنطق

وأنا أحب أن أخلع عنك مسوح الوعظ والإرشاد خلعاً لا رجعة بعده ! فتعال أيها الشيخ إلى غير واعظ ولا مرشد ! تعال حدثني وأحدثك ، ودعني ودعك من : « قال الله تعالى » و « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإنها في زماننا هذا — من مسوح المتدينين بلا دين ! دعنا نعرف الكتب التي بين أيدينا لا نرفع بعضاً ولا نضع بعضاً ، لأن هذه كتب تاريخ لا يوثق بها، ولأن هذه كتب أصحاب دين ووعظ وإرشاد يوثق بها ! ثم ننظر بعدئذ بالعقل المجرد ماذا يكون ؟ !

ودعني أيها السيد أعيد عليك ما قلت في مقالك : « ونحن نقر أن معاوية كان حسن السيرة على عهد عمر ، فولاه أعمال دمشق ، ولكنه قلب المجن للتعاليم الإسلامية بعد مصرع عثمان ... » ولا أسألك من أين علمت أنه كان حسن السيرة على عهد عمر ؟ ولكني أسألك : ألست تعلم أنه قد نشب الخلاف بينه وبين علي ؟ فتقول : نعم ولا بد . ثم أسألك : ألست تعلم أنه كان لهذا شيعة ولذاك شيعة ؟ فتقول : نعم ، ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن كل شيعة قد غلت في صاحبها وتعصبت له ؟ فتقول نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الأمر حين انتهى إلى معاوية واجتمع عليه الناس في عام الجماعة إذ أسلم إليه الحسن أمر الخلافة — لم تزل شيعة علي باقية في الناس كشيعة معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الخلاف بين الشيعتين ظل مستمراً مدة بقاء معاوية ومن بعده ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الحسين بن علي قتل في عهد يزيد بن معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن مقتل الحسين وما تبعه من الحوادث في عهد يزيد بن معاوية قد أوقد نار العداوة بين شيعة علي وشيعة معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن شيعة كل منهما قد انتشرت في الناس بما بينهما من العداوة ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن من هاتين الشيعتين العالم والجاهل ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن كل عالم أو جاهل كان يحدث من خبر شيعته وخبر شيعة عدوه ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك ألست تعلم أن هذه الأخبار ربما كان فيها الصحيح والسقيم والصادق والمكذوب كما يكون في كل شيعتين متنازعتين ؟ فتقول : نعم

ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الأمر سار على ذلك إلى ما بعد انقضاء دولة بنى أمية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنها استمرت إذن على ذلك منذ سنة ٤٠ من الهجرة إلى وقت تدوين الكتب ، أى فى أواخر القرن الأول ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنه ليس فى أيدى الناس كتاب مكتوب قبل ذلك العهد ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن طريق القوم كان هو الرواية فحسب ؟ فتقول: نعم ولا بد. فأسألك : ألست تعلم عندئذ أن العقل يوجب أن تعرف راوى كل خبر حتى تتبين من أى الشيعتين هو ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنه ظلم قبيح أن تأخذ الخبر لا تدرى من رواه ، فتطعن به فى أحد الرجلين ، معاوية أو على ، وأنت لا تأمن أن يكون كذبا صرفا ؟ فتقول : نعم ولا بد

فإذا صح كل هذا عندك ولم تشغب على فيه ، فإنى أراك رجلا صالحا ، فهل تظن ، ولا أقول هل تحقق عندك ، أن هذا الطعان فى معاوية وأهله ، قد ميز هذا كله قبل أن يكتب ما كتب ؟ فإن كان قد صح لك ، فأنا أحب أن أعلم كيف صح لك ، حتى أتبعك على الحق . وإن لم يكن صح عندك ، وهو لم يصح عندى بعد ، فدعنى عند قولى لك : أنا أنكر هذا كله وينكره المؤمنون من قبلى ، واذكرنى دائما بأنى لا أعد أمثال هذه الروايات المجردة من رواتها ، وفى مثل هذا الموضع المشتبه من المداوات ، شيئا يمكن أن أسلم به . فإنى لا أحب أن أستهلك عقلى فى العبث والجهالات. واعلم أنى لا أنقاد لما لا بينة عليه ، وأن للعقل شرفا لا يرضى معه بالتدهور فى مواطئ الغفلة وسوء الأدب . ولو أنت لم تعجل لكان البيان آتيك بعد قليل من الذى أستطيعه من ذلك وما لا أستطيعه، غفر الله لك . أقولها خالصة من قلبى ، بلا مسوح وعظ أو إرشاد !

وأنا أخذتك من أهون المآخذ فى طريق العقل ، فهناك طرق أخرى أشق وأصعب فى تمييز هذا العبث لم أدفعك إليها ، وأرجو أن تصبر حتى تعرفها يوما ، أو أن تحاول أنت أن تصل إليها بما أوتيت من حسن العقل ، فإن المحاولة خليقة أن تفضى بك إليها . ولكن شرطها أن تدع العصبية لآراء الرجال ، وبخاصة إذا كان هؤلاء الرجال ممن يبنون أقوالهم على الغلو والتسرع وسوء الفهم ، وقبح القصد ، ومعاندة الحق لهوى فى النفوس يعلمه الله وحده ، ولكن يدل مطلعه على أنه هوى . فإذا فملت استطعت أن توفر على نفسك مطالبتى بنقد الحوادث التاريخية التى رواها صاحبك « نقداً موضوعيا » ! ومع ذلك فسأفعل حيث كتبت كلامى ما يرضيك . ولكن على شرط أن أجد عندك ما أحب لك من حسن الظن فيك : أن تعرف أن النقد الموضوعى الذى زعمت ، ينبغى أن يسبقه التحقق من صحة هذه الحوادث تحققاً ينفى كل ظنة. وأستطيع أن أظن أنى قدمت لك فى هذه الكلمة ما يجعلك تقف من هذه الروايات التاريخية ! موقف التردد على الأقل، أنفة لعقلك وأدبك أن يزل حيث زل من دافعت عنه

أما الموضوع الذى نصبت له كلامى فى مجلة « المسلمون » فهو سب الصحابة ، وأظن أن الأستاذ يوافقنى على أن كلام صاحبك خرج أولا عن أن يكون تخطئة لمعاوية ، ثم خرج عن أن يكون طعناً فيه ، ثم خرج عن أن يكون سبا . خرج من هذه المراتب الثلاث إلى مرتبة رابعة ، هى أن معاوية برئ من الإسلام ، والإسلام برئ منه . فأدنى مراتب هذا القول أن يكون منافقاً ، وآخرها أن يكون كافراً بما جاء به الرجل الذى آمن به المسلمون وأمروا أن يسموه « رسول الله صلى الله عليه وسلم »

ومن العسير أن أكتب فى هذا الموضوع الآن دون أن أتوشح بذيل من ذيول « مسوح الوعظ والإرشاد » ، فليأذن لى الأستاذ قليلا أن أرد فضلة من الثوب الذى خلعت حتى أستطيع أن أوضح له :

زعمت ياسيدى أن لى رأيا ، فقلت إنى آثرت هذه العاصفة وحجتى الوحيدة : « أن كل صحابى رأى الرسول وسمع عنه قد اكتسب مكانة تحرم على كل إنسان أن ينتقد أخطاءه أو يظهر أغلاطه » . ويلك ! نسبت إلى شيئاً لم أقله قط كما ستعلم بعد . فلا تنس إذن أن مثل هذا جائز أيضا أن يكون وقع من مثلك قديما ، فنسب إلى معاوية شيئا لم يقله كما نسبت أنت إلى شيئا لم

أهله. ولكنى كنت أحسن حظا من معاوية رضى الله عنه، فإن كلامى مكتوب منشور، أما معاوية، فقد روى الناس عنه شيئا ذهب أصله، لأنه لم يكتبه كما كتبت. صدقنى، فلست أدرى من أين فهمت هذا الكلام الذى ترجمته؟ ولكن عذرك باد ظاهر، فإن دفاعك عن صاحبك دليل على أنك على الأقل تفكر كما يفكر، وهذه الطريقة هى نفسها طريقته التى أدعوك إلى فراقها حتى لا تهلك عقلك فيما لا يجدى. والذى قلته بعد الخطبة المنبرية التى زعمتها، والتى يدأتها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا أصحابى ...» هذا نصه: «وليس معنى هذا أن أصحاب محمد رسول الله معصومون عصمة الأنبياء، ولا أنهم لم يخطئوا قط ولم يسيئوا، فهم لم يدعوا هذا، وليس يدعيه أحد لهم. فهم يخطئون ويصيبون، ولكن الله فضلهم بصحبة رسوله، فتأدبوا بما أدبهم به، وحرصوا على أن يأتوا من الحق ما استطاعوا، وذلك حسبهم، وهو الذى أمروا به، وكانوا بعد توابين أوابين كما وصفهم فى محكم كتابه. فإذا أخطأ أحدهم، فليس يحل لهم، ولا لأحد ممن بعدهم، أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم. هذا مجمل ما أدبنا به الله ورسوله. بيد أن هذا المجمل أصبح مجهولا مطروحا عند أكثر من يتصدى لكتابة تاريخ الإسلام من أهل زماننا، فإذا قرأ أحدهم شيئا فيه مطعن على رجل من أصحاب رسول الله سارع إلى التوغل فى الطعن والسب بلا تقوى ولا ورع. كلا بل تراهم ينسون ما تقضى به الفطرة من التثبت من الأخبار المروية، على كثرة ما يحيط بها من الريب والشكوك، ومن الأسباب الداعية إلى الكذب فى الأخبار، ومن العلل الدافعة إلى وضع الأحاديث المكذوبة على هؤلاء الصحابة (مجلة المسلمون عدد ٣ ص ٢٤٧)

وأنا أكره أن أنقل كلاما لى من مكان إلى مكان، ولكنك استكرهتنى على نقله، حتى لا يقع فى عقل أحد من قراء الرسالة، أنى مستطيع أن أقول هذه المقالة المنكرة القبيحة بكل مسلم: أن للصحابة مكانة تحرم على كل إنسان أن ينقد أخطاءهم أو يظهر أغلاطهم. هذه ياسيدى كلمة قبيحة جدا، وأقبح منها أن تجعلها ترجمة لكلام مكتوب باللغة العربية التى تكتب بها وتقرأ فيما أظن، ثم تنسبها إلى امرئ يعرف حق الكلام ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده، وما يوجبه اللفظ من المعانى، وما يتناوله من دقيق الاستنباط. وأنا أشهد كل قارئ أنى لم أقل ماقولتنيه، وأدع له حق الحكم بينى وبينك أن يكون فى كلامى حرف واحد يدل على أنى أردت بعض هذا المعنى الذى ترجمته كما ترجم صاحبك تاريخ معاوية ومن معه من الصحابة وتاريخ سائر بنى أمية. أفتظن أن قولى إنه لا يحل لأحد أن يجعل «خطأهم» ذريعة إلى سبهم والطعن فيهم معناه أنهم لا يخطئون، أو أن أخطاءهم لا تنقد؟ وأين ذهب عمرى إذن، إذا كنت لا أعلم أن الصحابة أخطأوا، وأن علماءنا رضى الله عنهم، قد بينوا أخطاءهم حتى فيما هو من أمور دينهم؟ ولكن فرق كبير بين أن تذكر عمل الصحابى أو قوله، وتأتى بالبرهان على أنه مما أخطأ فيه، وبين أن تجاوز ذلك إلى الطعن فيه، ثم إلى سبه، ثم إلى إخراجه عن الدين، كما فعل صاحبك. وهذا فرق ليس بالخفى فيما أظن؛ ولا أظنك إلا تورطت فيه من شدة أثر صاحبك عليك، حتى خدعك عما أنت خليق أن تكون من أهله. هذه واحدة أرجو أن تكون راجعاً عنها منتفيا من سوء أثر صاحبك عليك فيها

وأخرى تبين فيها سوء أثر صاحبك عليك: وهى تحديدك، فيما تزعم، لمعنى «الصحابى» واستدلالك بالكلمة التى جاءت فى الخبر عن عبد الله بن أبى «معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». فهذه كلمة ذكرها، يخشى أن تدور على ألسنة المشركين الذين لا يميزون مؤمناً عن منافق، وكلهم عندهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، لا أن رسول الله يسمى المنافقين أصحاباً له!! وكيف وقد نزل عليه من ربه نفاقهم وكفرهم، ونهاه أن يصلى عليهم، وبينهم له بأعيانهم، فمعاذ الله أن يسمى رسول الله أحداً من المنافقين الذين يعلمهم «صاحباً». فمن سوء الأدب أن يقول مسلم: «فعبد الله بن أبى من أصحاب محمد كما ينطق الحديث»؛ ومن قلة المعرفة بالعربية أن يقولها

قائل ، ومن التسرع البغيض أن يلجأ إليها باحث، ومن ضعف المنطق والفهم أن يحتج بها محتج . فهي حكاية قول يخشى أن يقولوه ، لا تسمية له باسم الصحبة . أعوذ بالله من الخطل ! ورحم الله العرب وألسنتهم !

أما ما حاول الأستاذ أن يجعله تحديداً لمعنى الصحابي ، وهو ثلاثة أرباع مقاله ، فأظنني لم أفهمه ، ولم أدر ماذا كان يريد أن يقول ثم أخطأه . وأظن أنه أراد أن يقول في كل ما كتب : أن الصحابي هو الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه وآمن به ولازمه ومات على إيمانه ، ولم يرتد . ولم يشهد له رسول الله بنفاق أو لم يذكر فيه حكم خاص من رسول الله . وهذا حق ، إلا أن الأستاذ أدخل شرط الملازمة، وهو باطل من وجوه كثيرة ، لا أطيل بذكرها . ومع ذلك فإني أؤكد أن معاوية ممن صاحب رسول الله منذ رمضان سنة ثمان من الهجرة إلى أن توفي بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول من السنة الثانية عشرة من مهاجره إلى المدينة . وأما أبوه أبو سفيان فقد ولاه صلى الله عليه وسلم نجران وصدقات الطائف ، ورسول الله لا يولي منافقاً !! وأما عمرو بن العاص ، فلا أظن الأستاذ يستطيع أن ينكر هجرته ومصاحبته وبلاءه في الإسلام ، وأما هند فأسلمت يوم أسلم زوجها أو بعده بيوم في سنة ثمان من الهجرة . وهجران الأستاذ لمعرفة تاريخ هؤلاء الأربعة ، عادة اكتسبها من الكتب التي يقرؤها ، كتب تكتب بلا بينة ولا حذر ولا معرفة

ولا أظن أني قرأت كلاما لم أفهمه ، كالذي قرأته في مسألة الصحابة ، وإن كان الأستاذ بالطبع يظن بكلامه غير ما أظن ، ولكني أنصحه مرة أخرى أن يلتمس العلم في كتب من يلتمس عندهم العلم . وإذا كان يخشى على دينه — ومعذرة ارتداء مسوح الوعظ والإرشاد — فليأخذ أمر دينه عن ثقة في تمييز الصحيح من الزيف ، والحق من الباطل ، وليدع أصحاب الأهواء حيث رضوا لأنفسهم منازلهم من مزالق الهوى . وليستغفر ربه من الكلمة الكبيرة التي قالها حمية لصاحبه وغضباً أنه « قد يوجد في القرن العشرين من هم أفضل بكثير من بعض من عاصروا الرسول العظيم » . والظاهر أن الأستاذ لا يعيش في هذا القرن العشرين عيشة العارف البصير . والظاهر أيضاً أنه محتاج إلى معرفة كثير مما خفي عليه من شؤون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أمر دين الله الذي أكمله للمؤمنين ، وأتم عليهم نعمته ، ورضيه لهم ولنا ديناً . ونصيحة أخرى إلى الأستاذ أن يضع عن يده عبء القلم ، فإنه ثقيل ثقيل . ولولا الحياء من أن أترك كلامه ومنطقه في الكتابة ، بلا مجيب ، لخففت عنه ثقل الكتابة ، وثقل الفكر ، وثقل القلم جميعا ، بالصمت عما جاء به ودهوره في أمور قلت معرفته بها ، وبعجز فكره عن معاناتها والسلام

محمود محمد شاكر

شعراء من أشعارهم :

عدى بن زيد العبادي

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٢ —

حين مات المنذر كان عدى رجلا شديدا ثقة يستعان به فى جلائل الأمور وعظائمها ، وكان يعمل فى ديوان كسرى ، وكان على صلة بالحيرة وما يجرى فيها . وقد خلف المنذر أبناء يرفعهم بعض الرواة إلى عشرة ، ويرفعهم آخرون إلى ثلاثة عشر ، ولكن السيدين المنظور إليهما فيهم جميعا هما : النعمان والأسود. وقد قدمت لك أن المنذر دفع بالنعمان إلى حجر عدى بن زيد وأهل بيته لتربيته وتقويمه . وأما الأسود فقد تولاه ، وأرضعه ، ورباه ، قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ، كانوا أشرافا . وكان أولاد المنذر جميعا يقال لهم الأشاهب من جمالهم وبياض وجوههم . وقد قال فيهم أعشى قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الأشاهب(١) فى الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

ولما احتضر المنذر وخلف أولاده حار كسرى فيمن يعقد له أمر الحيرة ، وأراد أن يختبر أبناء المنذر ليرى أيهم أحق بهذا الفضل ، فبعث فى طلبهم بمشورة عدى . ولما خلا بهم عدى — كما تروى كتب الأدب — أوصى كلا منهم بوصية مغشوشة مدخولة ، إلا النعمان فقد محضه القول وأخلص له النصح . ولما دخلوا جميعا على كسرى يأكلون ، كان النعمان فى ثياب السفر ومتقلدا سيفه ، وعظم اللقم ، وأسرع المضغ والبلع ، وزاد فى الأكل ، تبعا لوصية عدى ، على غير ما فعل إخوته ؛ فقد تباطأوا فى الأكل ، وصغروا اللقم ، ونزروا . فأعجب كسرى بما فعل النعمان وولاه الحيرة

وأنت ترى من هذا ، ومما سبق ، أن فضل عدى بن زيد على النعمان بن المنذر سابغ . ولذلك لم يكن من العجيب أن كان صديق الملك النعمان ، وجليسه ، ونديمه ، فى كل يوم لقيه وخطاب ، يخرجان للصيد معا ، ويرجعان معا . وارتفعت أسهم عدى ؛ فقد احتال للنعمان وولاه ، وغدا النعمان ملك الحيرة ، ورثها بعد أبيه المنذر . ولم يكن بنو مرينا ليرضوا عن النعمان ، فإنهم أرادوا ربيبهم ورضيعهم الأسود ملكا للحيرة ، ولكن تدبير عدى قرب النعمان من كسرى وأبعد الأسود

ويذكر الرواة أن النعمان كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدى بن زيد ، فمرا على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عدى بن زيد : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا . ما تقول ؟ فأخبره عدى أنها تقول :

أيها الركب المخبو ن(٢) على الأرض المجدون
كما أنتمو كنا وكما نحن تكونون

فانصرف النعمان وقد دخلته رقة ، فمكث بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خرجة أخرى فمر على تلك المقابر ومعه عدى ، فقال عدى : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر ؟ إنها تقول :

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فدم(٣) وجياد الخيل تردى(٤) فى الجلال(٥)
عمروا دهرا بعيش حسن آمنى دهرهمو غير عجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى فى طلاب العيش حالا بعد حال

فرجع النعمان وتنصر وكان من قبل يعبد الأوثان . وليس بعيدا أن يؤثر عدى فى النعمان هذا التأثير ؛ فقد مضى بيان ما بينهما من صلات وثيقة ، وما قدم عدى للملك من جميل ، وكان عدى أكبر سنا وأعلم ، وكان له فى نفس النعمان منزلة الوالد ، ولذا فليس من البعيد أن يتنصر على يد عدى . وقد تنصر أبناء بيته أيضا ، وبنوا البيع والصوامع ، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر ديرا بظهر الكوفة ، يقال له دير هند

وقد أحب عدى بن زيد هند بنت النعمان على فرق ما بينهما فى

(١) الأشاهب جمع أشهب وهو من غلب بياضه سواده

(٢) المخبون : المسرعون . والخبب ضرب من السير ، وهو عدو بخطو فسيح نوعا

(٣) جمع فدام أو فدام ، وهو ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية ما فيه من شراب

(٤) تسرع وترجم الأرض بحوافرها

(٥) جمع جل وهو للحيوان (كالثوب للانسان يقيه البرد.

السن ؛ فقد كان عدى أكبر من أبيها النعمان ، ومن شعره فيها

علق الأحشاء من هند علق(٦)   مستسر فيه نصب(٧) وأرق

وفيها أيضا يقول :

يا خليلى يسرا التعسيرا   ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرجا(٨) بى على ديار لهند   ليس أن عجتما المطى كبيرا

ويقول .

من لقلب دنف(٩) أو معتمد(١٠)   قد عصى كل نصيح ومفد(١١)
ليس إن سلمى نأتنى دارها   سامعا فيها إلى قول أحد

ويذكر أنه يصبى ظباء مترفات ، يرفلن فى الدمقس، ويكفين شؤونهن ، وهن بنات كرام ، مطيبات بالعبير :

بنات كرام لم يرن(١٢) بضرة   دمى(١٣) شرقات(١٤) بالعبير روادعا(١٥)
يسارقن م الأستار طرفا مفترا   ويبرزن من فتق الخدور الأصابعا

ومن المقبول أن يكون قد سار حب عدى هند ، وعرفه الناس ، وتحدثوا به ، وبلغ النعمان شئ من هذا . ويحدثنا عدى أن سلمى (هند) مهما نأت دارها ، ومهما نهاه عن التعلق بها الناصحون أو اللائمون ، فهو لن يسمع إلى قول أحد . ثم هو كان يدخل بيت النعمان ، فكان يرى بنات كرام ممتلئات مطيبات بالعبير، وحين يدخل كن يسارقن النظر بطرف مفتر ، ويبرزن أصابعهن من فتق الخدور — ذلك لأنه كان يصبى الظباء النواعم المنشآت فى الدمقس والحرير

والنعمان رجل عربى ، يحفظه أن يتعرض أحد لفتاته بذكر، أو أن يقول فيها شعرا . وعدى قد تعرض وقد قال الشعر . ولا يبعد أن يكون النعمان قد عرف هوية عدى، وسمع شعره ، بطريقة أو بأخرى

وقد أجمعت الروايات على أن عديا صاهر النعمان . وأكثرها على أنه تزوج بنته هند . وقد دفع عديا حبـه هند أن يتلمس الزواج بها . وقد تزوج بها ، وهى يومئذ جارية ، حين بلغت أو كادت . وقد طلبها إلى النعمان بطريقة خادعة ، وهى أنه صنع طعاما واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ، ففعـل ، وسقاه عدى ، فلما أخذ منه الشراب خطبها إليه ، فأجابه النعمان وزوجه، وضمها إليه بعد ثلاثة أيام

ولم يكن هذا الزواج موفقا فيما يظهر ؛ إذ كان فارق السن بين الزوجين كبيرا ، فقد كان عدى أكبر من النعمان ، وهو قد قومه ورباه ، ومعنى هذا أنه كان فى سن تجوز له أن يكون أستاذا كاملا جديرا بتهذيب وتقويم أولاد الملوك — ثم كبر النعمان ، وتزوج ، وأنجب . وبعد هذا كله جاء عدى يخطب إلى النعمان ابنته هند ، وهى جارية ، حين بلغت أو كادت . وجاء يخطبها بطريقة لا تليق بخطبة بنات الملوك ، فقد أسكر النعمان حتى أخذ منه الشراب ، وحتى أصبح لا يستطيع الاختيار ولا التصرف بمحض رغبته وملء إرادته ، ثم طلب إليه ابنته

وقد كان عدى شبب بهند ، وقال فيها الشعر ، وأعلن حبه، وعصى الناصحين فيها ، فكأن الناس علموا بهذا الحب ، فمنهم الناصح ، ومنهم اللائم ، ومنهم الدساس المتربص

فكل الظروف التى أحاطت بهـذا الزواج لا تهدى إلى التوفيق ، فالتشبيب بالفتاة فى العرف العربى — والنعمان عربى — سبب يمنع زواجها ممن شبب بها وتغزل فيها ، ثم الطريقة لا تسوغ فى عرف الملوك ولا غيرهم ، ثم فارق السن لا يستهان به وبأثره فى الزواج الموفق

وقد يكون النعمان حين صحا من سكرته بدا له غير الذى عقد ، وبدا له أن الزواج غير متكافئ وغير جائز ، ولكنه قد ألزم نفسه بما قطعه عليها من قبول عدى زوجا لابنته هند، وهو قبول خير منه الرفض ، وبشاشة خير منها العبوسة والاكتئاب

وفى مثل هذه الظروف القاتمة صحت الفتنة، أو هى تحركت، فقد كانت متيقظة من بعيد ، يوم انحاز عدى فى ديوان كسرى إلى النعمان ، وفضله على سائر إخوته وبخاصة الأسود ، وعمل على أن يكون ملك الحيرة بعد المنذر ، ونجح فيما أراد واختار ، وأصبح النعمان ملكا ، وأصبح هو صديق الملك ورفيقه فى التنزه بظهر الحيرة فى طريقهما المقابر ، غاديين رائحين

للبحث صلة   محمود عبد العزيز محرم

(٦) عشق وهوى   (٧) داء وبلاء وشر   (٨) اعطفا وميلا
(٩) مريض حبا   (١٠) مقصود إصابته   (١١) من يفدى
(١٢) لم يسأن   (١٣) جمع دمية وهى الصورة   (١٤) ممتلئات
(١٥) فيهن أثر الطيب والعطر

الفوضوية الفردية أو الوجودية!

للأستاذ شاكر السكري

الفردية مفهوم من المفاهيم الرجعية، ومخالفة من المخالفات الانحلال، وعامل من عوامل الهدم، وهدف من أهداف التفسخ للشعوب، وفوضية مجنونة ترعاها عقليات (هستيرية)!

كل ذلك مضمون واحد تجمعه تلك الفردية الانعزالية التي من شأنها أن تقوض الأسس التي تبنى عليها المجتمعات وتقوم عليها قوى الشعوب ..

إن الأهواء الذاتية التي تدفع هذه الزمرة البشرية (الشرهة) لكي تتخذ من هذه المذاهب الجنسية مبرراً يتيح لها بمقتضاه العمل على التخلص من المسؤوليات الأدبية، والتحلل من الأهداف الأساسية للتكوين العام الذي يلم شمث العالم وينظمه كأسرة واحدة تجمعها روابط الأخوة والإنسانية ويسترعي انتباهها الاتحاد التام والعمل الوثيق من أجل بناء كيان يحفظ للشعوب المتحررة الواعية حرياتها وحقوقها وينمي قابلياتها، ويحترم سيادتها، ويصون اقتصادياتها، كل ذلك والفردية الانهزامية تتجاهل العناصر التي قومت فرديتها الهزيلة وجعلتها ذات (صفات خاصة).. إن استخدام الأساليب الإباحية لضمان المواطف الفردية على حساب المجتمعات الجماهيرية تدفعنا للتفكير في الواقع الذي يرى أن هذه المذاهب ليست إلا غرضاً من الأغراض التي بدأت تستخدمها السياسة وتسخرها في كثير من الشعوب المسيطرة عليها .. والتي تخضع لنفوذ استعمارها لكي تشغل بها الأفكار، مستغلة بذلك إعطاء المجال للمواطف الجلسية الجامحة! أن تأخذ كامل حريتها في تمثيل ماتهواه من التفكك والانحلال! لتفقد بذلك السيطرة على نفسها والتفكير في مصيرها وشؤون بلادها، كما أنها تدعو لانعدام المسؤولية في مختلف تطوراتها، وهذا ما فطن إليه الاستعمار أخيراً وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وبصورة خاصة في البلدان الأوربية.. التي بدأت أذهان مواطنيها تتفتح للتفكير في مصيرها ومستقبلها وضمان حرياتها ودعم كيانها واقتصادياتها، على الأسس التي تكفل لها الرخاء والتقدم ..

وقد وجد الاستعمار الأمريكي والإنكليزي المجال الواسع في كثير من دول أوربا الغربية، تلك الدول التي أخذت تتجه اتجاهاً مماكساً للسياسة الاستعمارية. ولهذا الغرض وحده بذل الاستعمار الإنكليزي والأمريكي نشاطه لماكسة ذلك الاتجاه، ومعاونة المذاهب الانحلالية والعمل على ازدهارها ... ومثال ذلك المذهب الوجودي الذي تبناه الاستعمار في فرنسا لشل الحركة الوطنية، ليتمكن من تفريق القوى الجماهيرية.. وصرفها عن التكاتف والاتحاد للتعاون على توحيد الجهود والعمل الحثيث على رفع مستوى البلاد للمحافظة على استقلالها السياسي والاقتصادي، ولغرض طمن الحركات الشعبية. إن الاستعمار يرقص طرباً عندما يشاهد الأكثرية المهوسة مدفوعة بمثل هذه (العقائد الفاسدة!) ليخلو له الجو ليث شباكه وربط البلاد بواسطة حكومات رجعية ضعيفة لتعمل بوحيه لتحقيق أمنيته، كما هو الحال الآن في فرنسا وكثير من الدول الشرقية خاصة منها البلاد العربية!

ولو نظرنا بإمعان إلى هاتيك المذاهب وأخص بالذكر المذهب الوجودي، لرأينا أن الغاية المنشودة، لا تعدو انعدام المسؤولية في كل ناحية من نواحي المجتمع! وجعل ذلك المجتمع أو تلك المجتمعات تتخبط بفوضى غاية في الفظاعة والبشاعة! لقتل النشاط الفكري ووأد القابليات الإنسانية، ومحو الذهنية الواعية وتوجيهها توجيهاً منافياً للقواعد الاجتماعية السليمة!

هذا هو المذهب الوجودي، وتلك هي الغايات الخبيثة من ورائه، أما أن هناك مذاهب فلسفية تعنى بفلسفة خاصة وتهدف إلى التعمق لمعرفة ما لا يمكن معرفته، فهذا أمر بات غير ميسور في جو مثل هذا الجو العالمي الذي لوثت السياسة آدابه ومعارفه، وأضحت حتى الفلسفات فيه غاية تسخر في خدمة السياسة وما تنشده من مطامع خسيسة!

ولست أعدو الحق إذا قلت إننا في عالم انعدم فيه الضمير وأصبح لا يعرف غير كسب منافعه مهما كلف ذلك من ثمن! على حساب الشعوب وملايين من البشر ...

والسنا ممن يروم نصب العداء وعرقلة أعمال العقل البشرى ما دام يسعى لتحقيق غرض أمثل ومجمل أسمى

أما أن هـــذا العقل يسعى لأغراض لا تمت إلى الإنسانية والخير بصلة فمعناه أن العقـل مجرم أو أنه مريض غارق فى شذوذه وأفـكاره الـكسيحة التى كتب لها الموت قبل أن تكون الحياة رائدها ..

كما أننا لا نتهاون فى أى وقت من الأوقات لمحاسبة (الأنا) الهاربة من الميدان ، أمام تأثير النزعة المكبوتة التى لم تجـد لها طريقاً فى الحيـاة الشعورية ، والحقيقة أن علم التحليل النفسى الحديث قد أثبت مبلغ ما تؤثره هـذه التصرفات وتخلفه من أمراض خطيرة تدفع المصابين بهـــا إلى نهاية غاية فى التعاسة والشقاء !

وقبل أن أختتم هذه الـكلمة أود أن ألفت نظر قراء (الرسـالة) الغراء إلى كلمتى القادمة بعنوان (الوجودية فى نظر التحليل النفسى !)

بغـداد — شاكر السكرى

امرأتان عظيمتان
من دولة المغول

للدكتور محمد بهجت

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وأما « ممتاز الزمان » أو « ممتـاز محل » ، واسمها الأصلى أرجومان بانو بيجم ففارسية الأصل أيضا . ولدت عام ١٥٩٤ م أبوها عبـد الحسن بن اعتماد الدولة الذى عرف فيما بعد باسم « آصف خان » . التحق فى صباه بخدمة « أكبر » وبلغ مركزا فى عهد ابنه « جاهان جـير » ثم أرفع مركز وهو رئيس وزراء الإمبراطورية ، ومستشار الإمبراطور ، ومندوبه فى مفاوضاته الدبلوماتية ، وحامل لقب يمين الدولة — فى عهد « شاه جاهان » وقد رأينا فيما سبق كيف ساعد هذا الرجل « شاه جاهان » على اعتلاء العرش ، وكيف أصبحت ابنته « ممتاز محل » إمبراطورة من بعد عمتها « نور جاهان »

تزوجت ممتـاز الأمير « كرام » عام ١٦١٢ م وعمرها إذ ذاك ثمانيـة عشر عاما . أما هو فكان يكبرها بأربع سنوات . فأحب كل منهما الآخر حبا عميقا ، صادقا قويا لم يرو التاريخ مثله رافقته فى جميع غزواته ، وقاسمته التشريد والحرمان ، وذاقت معه حلاوة النصر ومرارة الهزيمة ولاسيما فى أواخر عهد أبيه ، فكانت بحق الزوجة المثالية ، وكانت نعم الصديق والمرشد

كانت ملـكة جمال عصرها حتى لقد سماها بعض المؤرخين فينوس الشرق . ويظهر أن جمالها كان ينطوى على رقة متناهية وأنوثة جارفة ، وروح عذبة وادعة ، وسريرة صافية نقية ، وطبع هادئ وخلق رزين ، وبذلك بزت عمتهـا التى اتسمت بالمكر والدهاء ، وبالفروسية وغيرها مما يغلب فى طبائع الرجال . ومع هذا الجمال الهادئ الوادع حباها الله عقلا راجحا ، ورأيا صائبا ، وقريحة وقادة ، وذكاء نادرا فى غير خبث أو دهاء . وما كان زوجها الامبراطور يبت فى شأن من شؤون الدولة العامة إلا بعد أن يستشيرها ، ولا يقدم على أمر جسيم إلا بعد الاستئناس برأيها وظلت حاملة لخاتم الملك مدة طويلة إلى أن نزلت عن تلك الوظيفة لأبيها . ومع ذلك فإن الدور الذى لعبته فى سياسـة ومصاير الامبراطور لم يكن بارزا قويا ضخما مثل دور « نور جهان »

وكانت مثل عمتها سخيـة كريمة إلى أبعد حدود السخاء والـكرم ، لم تبغ من وراء ذلك شهرة أو كسب أنصار وأعوان ، بل فاقتها فى الحدب على الفقير ، والأخـذ بناصر المسكين والضعيف ، حتى لـكان قلبهـا الرقيق يتقطع حزنا وأسى لمجرد مشاهدة الفقراء والبؤساء ، وتبادر لتوها بمسح جراحات نفوسهم ببلسم رحمتها ، وندى كفها ، ورفيع إنسانيتها ، مما جعلها سيدة عصرها . وكم من مرة أنقذت أرواحا أمر الامبراطور بإزهاقها فى ساعة غضبه ، وردتها على أصحابها سعيدة شاكرة

ولا غرو إذا أحبهـا الامبراطور ذلك الحب الجارف الفذ ، وعندما اعتلى العرش زادت مظاهر حبه لها بما كان يغدقه عليها من الأموال والجواهر ، وما كان يبديه لهـا من وافر الهيبة والاحترام فى الحفلات الخاصة والعامة . ويظهر أن شدة رغبته فى إسعادها جعلته ينفق بسخاء . بل ويبذر تبذيرا شنيعا أثر فى

خزينة الامبراطورية أسوأ تأثير . ففى احتفاله الأول بعيد النيروز (عام ١٦٢٨ م) أمر بمرشه الثمين فنصب فى حديقة القصر اليانعة التى غصت بالزينة والتهاويل ، وحفت به زوجته وأولاده والأمراء والأميرات وكبار الحاشية وسط مظاهر الترف والعظمة التى لم تشهد مثلها دولة المغول ، والتى كان يحرص عليها «شاه جاهان» كل الحرص ، وأراد أن يبلغ بها النهاية . وعندئذ تعطف وأطلق يده بالعطاء فخص زوجه بنصف مليون روبية ، وكل ابن من أبنائه الأربعة بمائتى ألف، وابنته الكبرى «جاهان آرا» بمثلها ، وابنته الصغرى «روشان آرا» بخمسين ألف روبية ، هـذا عدا ما أغدقه على حميه «آصف خان» وعلى بقية الحاشية

ثم إنه اندفع فى إنشاء عدد وافر من الأبنية العظيمة التى تعد من أجمل وأروع ما بنى فى الهند ، بل وفى العالم أجمع . ويظهر أنه حاول بذوقه الرفيع وموارد الامبراطورية الواسعة أن يأتى بما لم تأته الأوائل ، وأن تكون له قصور فخمة تتفق وعيشة الترف التى انتهجها وحرص على التوسع فيها لأبعد حدود التوسع . وكان من نتيجة ذلك أنه أخلد إلى الدعة ولذا ذات العيش والرفاهية ، ولم يعد يفكر فى الغزوات وفى خوض غمار الحروب وإخضاع الثورات كما كان فى صدر شبابه . أحب السلم والبناء وكرس لها كل وقته وجهوده وترك شؤون الامبراطورية لوزرائه وأبنائه . ويظهر أن بعض المؤرخين ظلمه بقوله إنه كانت له القاجارية لم يكتف بهن بل راح يبحث عن خليلات أخر بين نساء أمرائه وحاشيته . ولكن يصعب تصديق مثل هذه الرواية إذا عرفنا مقدار حبه لزوجته الجميلة المخلصة الوفية التى لم يقو على فراقها يوما واحدا ، والتى لم يتزوج غيرها من بعد وفاتها . ثم إنه لم تشب سعادتها الزوجية شائبة فكانا زوجين مثاليين

وفى عهده تطلع البرتغاليون إلى اقتطاع بعض أملاك الامبراطورية المتولية فى شئ من القحة والجرأة ، وقامت سفنهم بأعمال القرصنة ضد السفن الاسلامية ، فضاق الامبراطور بهم ذرعا . ازداد سخطه عليهم عندما احتجزوا جاريتين من جوارى «ممتاز محل» ، فأمر بطردهم من جميع أنحاء البلاد وتم له ذلك فى وقت قصير بعد معارك طاحنة دمرت فيها جميع ممتلكاتهم

ومع أن حياتهما الزوجيـة لم تزد على ثمانية عشر عاما فقد أنجبت منه «ممتاز» أربعة عشر ابنا وابنة . وفى عام ١٦٣٠ م بينما كان «شاه جاهان» منشغلا بإخضاع حاكم قوى يسمى «خان جاهان لودى» خرج عليه ، ماتت «ممتاز محل» فى مدينة برهان بور فى ريعان شبابها وهى تضع مولودها الرابع عشر . وبموتها ماتت أحلام الامبراطور العظيم ، وتحطم صرح هنائه ، وبدأت نقطة تحول خطيرة فى حياته فلم يعد يعبأ بنعيم الحياة ولذاذاتها ، حتى ولا بشؤون الامبراطورية ، وأصابه ذهول ووجوم لازماه إلى آخر أيام حياته . كان لا يفكر إلا فى شريكة روحه ، ومنية فؤاده يذكره طلوع الشمس «ممتازاً» ويذكرها لكل غروب شمس ، على حد قول الخنساء . وأخيرا فكر فى أن يبنى لها ضريحا يضم رفاتها المقدسة ، ويعبر عن مقدار وفائه لها ، بل كعبة يتجه إليها بقلبه وبصره ، يطوف بها وهو يناجى بعض نفسه التى دفنت تحت أطباق الثرى ، فحمل رفاتها بعد ستة أشهر من موتها إلى مدينة أكبراباد حيث أقام لها جنازة ملكية فخمة ومأتما عظيما حافلا ، وبعد ذلك نقلت إلى أكرا حيث دفنت فى «تاج محل» . ألهم الحزن والحب والوفاء الامبراطور أن يخرج إلى الوجود تلك التحفة الفنية الرائعة التى تقص على العالم قصة حبه . اختار لها الرخام الأبيض الصافى صفاء قلبها وروحها ، وأضفى عليه من جمال الهندسة والزخرفة ما يتناسب مع جمال وجهها وجسدها . ثم بث فى كل ذرة من ذراته كل ما أراد أن يقوله لو يعبر عنه ، أو أحس به . ولذا لم يظهر ذلك البناء بديعا فحسب . بل كأنه يهمس بشتى المعانى السامية ، ويعزيج من الأحاسيس الدقيقة العميقة . ومما زاده روعة قيامه وسط تلك الحديقة البديعة الرشيقة التى ما زالت على شكلها ورسمها الأصلى . لو اطلعت عليه فى الضحى أو فى ضوء القمر لخلت أنك ترى ممتازا نفسها ، بجمال جسمها وروحها مثلة فى غلالة من نور ، باسمة حزينة . إنه تمجيد لجمال المرأة ، ولكل ما فيها من صفات سامية

اختار له الشاه موقعا جميلا على نهر جمنة الذى يخترق مدينة أكرا ، وحشد له الصفوة من المهندسين والخطاطين والنحاتين والمزخرفين والصباغ ، وكان أكثر هؤلاء من الأتراك والفرس،

بل ومن الإيطاليين أيضاً . وبعد دراسات واسعة أمر بالبدء فى العمل عام ١٦٣١ م . ثم فتح باب خزانته على مصراعيها وأخذ ينفق على إخراجه ببذخ عظيم . اشتغل فيه عشرون ألف عامل لمدة سبعة عشر عاما على حد قول بعض المؤرخين ، ولـكن يظهر أن الانتهاء من بعض الزخارف والحسنات كان بعد ذلك التاريخ بدليل العبارة التالية التى نقرؤها على أحد أبوابه « كتبه الفقير الحقير أمانت خان الشيرازى عام ١٦٣١ — ١٦٥٣ حيث انتهى منه »

لا يمكن لإنسان أن يدرك جمال هذا الضريح على حقيقته إلا إذا رآه عياناً ووقع تحت سحره المتجدد ، وحين أن أذكر هنا أن الامبراطور أصر على أن يكون أنفس تحفة ، وأثمن أثر .. فكان باب المقصورة من الفضة ، والستار الذى بداخلها من الذهب الخالص ، تحليها أبدع النقوش ، كما كان باب المقبرة نفسها من الفضة أيضاً . وكان على القبر ستر من الحرير المرصع بصحائف اللؤلؤ ، كما كانت تعلوه الماسة اليتيمة المعروفة باسم « كوهينور » وكل ذلك نهبه « الجات » عندما فتحوا أكرا

جاء هذا الضريح أبدع ما أخرجه « شاه جاهان » من أبنية عظيمة لا نظير لها فى العالم ، وبعد ما أتمه كان يجلس على الضفة الأخرى من النهر ساعات طويلة يتأمله فى خشوع وحزن . ثم إنه فكر فى أن يقيم لنفسه ضريحاً فى نفس المكان الذى اعتاد أن يجلس فيه ، وشرع فعلا فى البناء ، ويرى أساسه قائماً على ضفة النهر تماما ، وكان يزمع أن يبنيه من الرخام الأسود . وليته عاش حتى أتم هذا العمل الفنى الجميل الذى لا يستطيعه إلا « شاه جاهان » وفيما هو منصرف إلى البناء ثار عليه ابنه « علم جير » المعروف باسم « اورنك ذائب » الذى استولى على أكرا وأسر أباه الشيخ الوقور الحزين وحبسه فى قصره الفاخر لا يخرج منه لمدة ثماني سنوات مات بعدها (١٦٦٦ م) والمعتقد أن الابن هاله ما رآه من إسراف والده ، وانصرافه من شؤون الامبراطورية التى كانت على شفا جرف هار ففعل ما فعل ولكنه كان يعامل أباه بكل ماهو جدير به من عطف واحترام . ولم يضن عليه بكل ما كانت تصبو إليه نفسه

وقفت طويلا أتأمل فى أبهى ذلك المكان البديع من القصر الذى قضى فيه الامبراطور المظلم ثمانية أعوام فى الأسر ، تشرف عليه وترعاه ابنته الخلصة « روشان آرا » ثم خرجنا إلى شرفة تطل على النهر يرى منها التاج بعيداً إلى اليمين ، ويتوسطها برج من الرخام الجميل ، رائع الصنع ككل شئ فى القصر ، بل وكل شئ بناه « شاه جاهان » وبينما أنا ذاهل من روعة البناء والذكرى أشار الدليل بإصبعه إلى قطعة صغيرة من حجر كريم لونها أحمر داكن ، لا يتجاوز طولها ثلاثة سنتيمترات وعرضها سنتيمترا واحدا ، مطعمة فى جدار البرج ، وطلب منى أن أنظر فيها ففعلت ، وإذا بى أرى صورة التاج منعكسة عليها كاملة من ذلك البعد العظيم !!! وفى تلك اللحظة شعرت بقلبى ينقبض شفقة على ذلك الملك البائس الحزين الذى قضى ثمانى سنوات يتطلع إلى قبر محبوبته من الشرفة ومن تلك القطعة الصغيرة !! بعد أن باعدوا بينه وبينها .. فياله من حب عظيم ، ووفاء نادر !! ومن يدرى ؟ فربما كان يتزود المسكين بآخر نظرة منه وهو يسلم روحه إلى بارئها

دفنوه فى قبر فخم إلى جانب قبرها تحت قبة التاج .. مع أنه لم يرد ذلك بدليل الضريح الذى وضع أساسه قبالة ضريحها على الضفة الأخرى للنهر . وكأنه لم يشأ أن يدنس هذا الهيكل المقدس جثمان آخر ، حتى ولو كان جثمانه هو

أثرت « ممتاز محل » بعقلها فى تسيير دفة الامبراطورية وأشرق جمال جسمها وروحها على العالم فترة قصيرة إشراقة الورد النضير ، فكانت المثل الأعلى للمرأة والزوجة . وأخيراً أثر موتها الباكر فى زوجها لخلد ذكرها بتحفة قلما يجود الزمان بمثلها ، وأهدى إلى العالم أعظم وأجمل رمز للحب والوفاء والإخلاص

محمد بهجت

مصلحة البساتين

مراجع البحث

١ — « حضارات الهند » تأليف غوستان لوبون وترجمة الأستاذ عادل زعيتر

٢ — « الإسلام والدول الإسلامية فى الهند » تأليف محمد عبدالمجيد العبد

٣ — الامبراطورية المغولية تأليف س.م جعفر (بالانجليزية)

٤ — تاريخ مختصر لشعوب الهند تأليف تارا شاند (بالانجليزية)

٢ - دعوة محمد

لتوماس كارليل
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إعجاز القرآن :

إن الذي حبب القرآن إلى قلب العربي ، وجعله يترك دينه وما وجد عليه آباءه ، وما ورثه من قديم الزمان من تقاليد وعادات ، هي فضائله وأولاها فضيلة الإخلاص المحض الصراح ، فهذه الفضيلة تعتبر منشأ كثير غيرها من الفضائل ، لأن الإخلاص هو أساس النجاح في كل شيء . كما أن فيه نظرات نافذات إلى شؤون الحياة . وإني أرى في القرآن ميزة خاصة وهي قدرته العظيمة على أن يوقع في أذهاننا كل ما جاء فيه ويجعلنا نؤخذ به ، وهذا لاشك مرجعه إلى أن ما جاء به لا يقصد منه إلا إصلاح أمورنا والأخذ بأيدينا إلى الصراط السوى

أنا لا أهتم كثيرا بما جاء به القرآن من الصلوات والتمجيد والتحميد ، لأني أرى ما يقاربها في الإنجيل ، ولكني لا أملك نفسي من شدة الإعجاب بما جاء به من نظر ينفذ إلى أسرار الكون وبواطن الأمور التي تهمنا جميعا ، وخاصة فيما يحيط بنا من أسرار الكون العجيب الذي لا نهاية له . ذلك الكون الذي كان محمد إذا سئل أن يأتي بمعجزة قال . حسبكم بالكون معجزة عظمى « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » أنظروا إلى السموات وكيف بناها وزينها بالنجوم والكواكب وما لها من فروج.. وإلى الأرض التي خلقها لكم وبسطها وجعل لكم فيها سبلا تسلكون في مناكبها وتأكلون من نباتها وتتمتعون بخيراتها « والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا » « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي » « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد. وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

وهذا السحاب المسخر بين السماء والأرض يسير في الآفاق ثم ينزل مطرا فيحيي الأرض بعد موتها ويخرج منها أعنابا ونخيلا ونباتا مختلفا أكله.. أليس كل هذا آية دالة على وجود الله وقدرته. وأن القرآن من الله لا من صنع البشر. « الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون » « وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها »

وهذه السفن وكثيرا ما يذكر السفن كأنها الجبال العظيمة المتحركة تمخر عباب البحار وتسير في موج كالجبال تنشر أجنحتها وتنتقل من مكان إلى مكان بما ينفع الناس « والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس » « والفلك تجري في البحر بأمره » « وسخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » « وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه » وهذه الأنعام المختلفة الأصناف خلقها لكم ترعى الكلأ ، ثم تخرج لكم من بين الفرث والدم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . « وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين » « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين » « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون »

وأنتم يا أبناء آدم يامن تدلون بقوتكم وتفاخرون بقدرتكم ماذا كنتم ؟ إنكم لم تكونوا شيئا مذكورا ، ثم خلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ، ثم جعل لكم جمالا وقوة وعقلا ، ثم تهرمون وتضعفون وتهن عظامكم وتموتون ، فإذا جاء يوم القيامة عدتم إلى حياة أخرى ، أعادكم الرحمن الذى وهبكم الحياة الأولى . « ... فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا » « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » أليست كل هذه وغيرها آيات ناصعات دالة على قدرة الله وعلى أن هذا الكتاب من عند إله قوى قدير مدبر للكون ، يعلم السر والظاهر ويدبر شؤون المخلوقات ؟ إنه لا ينكر هذا إلا جاهل متعصب

الجنة والنار فى القرآن :

الجنة والنار من الموضوعات التى كثر ذكرها فى القرآن وهما رمز لحقيقة أبدية ، لم تصادف من حسن الذكر والعناية بالشأن كما صادفت فى القرآن . لقد ذكر القرآن الجنة وملاذها ونعيمها ، ومن هم الذين سيدخلونها « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » « إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون . متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ... وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » « فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين » « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »

وذكر النار وشدة بأسها وعذابها تنكيلا بأهلها ، ثم ذكر من هم الذين سيدخلونها . جهنم المتغيظة التى لا تشبع أبداً التى وقودها الناس والحجارة . « إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميز من الغيظ » « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا » « إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد »

وأما أصحابها فهم الأخسرون أعمالا « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا »

وأنت ترى فى أماكن كثيرة مقارنة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار وما يلقاه كل منهما جزاء ما عمل « هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع » . « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم . إن هذا ما كنتم به تمترون » ، « إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون

من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم »

ثم يصور قيام الساعة ويوم الحشر إذ يجتمع الناس ليأخذ كل منهم كتابه الذى أحصيت فيه أعماله « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول — فرحاً مغتبطاً بما نال من حسن الجزاء على ما قدمت يداه فى الحياة الدنيا — هاؤم اقرأوا كتابيه » « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول — حزيناً مهموماً قد فقد أمله فى النجاة وعلم أنه حقت عليه كلمة العذاب — يا ليتنى لم أوت كتابيه »

هذا اليوم الذى فيه تذهل الأم عن رضيعها والأب عن ابنه والزوج عن زوجته ، بل يتمنى الإنسان الذى أخذ كتابه بشماله أن يفتدى نفسه بأمه وأبيه وصاحبته وأخيه وكل من له صلة به « يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما. يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه » « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »

ما ذا نرى من هذه الصور الواضحة والتصويرات القوية ؟ وما المقصود من هذا الإسهاب فى ذكر هذه الأشياء ؟ إن شيئاً واحداً هو المقصود بكل هذا التصوير المعظم للحقيقة الروحانية الكبرى أم الحقائق التى بنى عليها نظام المجتمع وحياة العالم . أعنى بها الواجب وجسامة أمره ، لأنه أمر خطير جسيم والحياة بغير واجب شىء لا قيمة له ولا شأن . إن كل هذه الأشياء التى ذكرت تبين لنا قيمة الإنسان فى هذه الحياة وأنه لم يخلق هملا حقيراً — وهذه القيمة نأخذها من جسامة ما ألقى على عاتقه من واجبات هو مطالب بها محاسب عليها — بل إن لكل مهما حقر ، عمل إنسانى له خطره وقيمته ، وله على هذا الجزاء والأجر « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما » « من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » ويتجلى لنا هذا القول ظاهراً قويا فى بعض أقوال محمد التى منها « إنكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى » . فمن كان عمله سيئاً فله من السوء نتيجة أبدية — ألا وهى جهنم التى وصفت — ومن كان عمله صالحاً فله ثمرة صلاحه السرمدية — وهى الجنة التى وعد المتقون ..

إن الإنسان قد يصل بأعماله إلى أعلى عليين فيصبح رفيقاً للملائكة والصديقين والشهداء والصالحين . وقد يهبط بأعماله إلى الدرك الأسفل من الحياة ، فيصير ممن طردهم الله من رحمته وحرم عليه نعيم جنته التى وعد بها أصحاب الأعمال الصالحة

لقد كانت روح محمد ذلك الرجل الذى عاش فى الصحراء ، تلتهب بكل هذه الخواطر التى أوحى بها إليه ربه ، بل إنها نقشت على قلبه هى وبقية أجزاء القرآن الأخرى بأحرف من نور فصهرت نفسه الآدمية وأحالتها إلى روحانية صافية سمت إلى درجات العلى ... لم يكن محمد بالأنانى ولا بالمستأثر بالخير دون سواه ، فقد حاول أن يجعل من أصحابه صورة منه ، ومن تابعيه قوماً صالحين ليضمن لهم التلذذ فى الدنيا والآخرة . فحاول مخلصاً كل الإخلاص جاداً كل الجد أن يصور ما يجول فى نفسه من خير للناس ويوضح لهم حقائقه ، فقدمه لهم فى تلك الصور الباهرة التى منها صورة الجنة والنار ، بل واستطاع أن يبين لهم أى ثوب لبسته تلك الصور من الحقيقة ، وأى قالب صبت فيه حتى جعل هذه الصور كلها مقدسة عند المسلمين مصدقة عند عامتهم وخاصتهم لا يقبلون فيها جدلا ولا يرغبون فى غيرها بديــلا

يأخذ البعض على الصورة التى رسمها القرآن للجنة والنار ، تغلب الحسية والمادية ويقولون إن هذه الحسية قد أفقدت هذه الصور بهجتها وحدت من خيال السامع لأوصافها . ولكن فات هؤلاء أن الصور التى رسمها القرآن ليست حسية مادية — كما يقولون — ولكن القرآن روحانى سماوى فقد أقل جدا من إسناد الماديات والحسيات إلى ما صوره من صور وأن كل ما جاء فيه خاصا بهذه الصور وخاصة الجنة والنار إنما هو إيحاء وتلميح

لكن العيب فى هذا كله يقع على الشراح والمفسرين الذين قاموا بتفسير ماجاء فى الكتاب المبين ، فهم الذين لم يتركوا متعة

شهوية ولا لذة حسية إلا حاولوا أن يلحقوها بالجنة ظنا منهم أن هذا يجذب الناس إلى الأعمال الصالحة التى تؤدى إليها. كما لم يتركوا عذابا بدنيا ولا ألما حسيا إلا حاولوا إسناده إلى النار ظنا منهم أن هذا هو أشد رادع لهم عن إتيان المنكرات

إن القرآن جعل أكبر متع الجنة روحانيا إذ قال: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» فأى شئ أحب إلى نفس الإنسان من الأمن والسلام، إنهما فى نظر كل عاقل غاية ما يتمنى وأقصى مايسمى إليه، وهما الشئ الذى يحاول الإنسان فى حياته أن يلتمسه ويصل إليه. ثم يقول فى مكان آخر «ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين» فأى رذيلة وأى عمل أشد خبثا من الغل والحسد اللذين هما مصدر المصائب والمحن والآفات والنقم. إنهما أساس ما يصيب العالم من الكوارث والمهلكات والحروب الطاحنة. فإذا نزع مافى الصدور من الغل والحسد، صارت الحياة أمنا وألذ كأنما هى الجنة التى أرادها الله بل إن الجنة لا تفضلها فى شئ

إن السلام والأمن والتصافى كل هذه أشياء حفل بها هذا الكتاب الذى جاء من لدن حكيم خبير

عبد الموجود عبد الحافظ

التعليم فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

لابد للباحث فى حالة الإصلاح فى بلدنا هذا من أن يقف بين آن وآن برهة من الزمن ليراجع فيها الماضى وليدقق النظر فى الحاضر تعرفا لما كان، وتلمسا لما يكون، لعله يتمكن بذكريات الماضى وعبر الحاضر من رسم خطة سليمة للمستقبل. والتعليم فى مصر وهو من أهم أسباب نهضتها وأعظم عوامل الإصلاح فيها من الأمور التى يجب على المسئولين أن يراجعوا أنفسهم فيه بين فترة وأخرى حتى يتبينوا عيوبه فى الماضى ليتخلصوا منها فى الحاضر وفى المستقبل فى سبيل تنشئة جيل جديد يستطيع النهوض بالبلاد النهوض المأمول

إن السياسة العامة التى سارت عليها الحكومات المتعاقبة من زمن بعيد تعنى عنايتها الكبرى بنشر التعليم والإكثار من المدارس والمعاهد أكثر من عنايتها بأى شئ آخر، حتى لقد تضاعف فى السنوات العشر الأخيرة عدد المدارس، كما أصبحت لنا فعلا ثلاث جامعات تضم الآلاف من الطلاب. وهناك جامعة رابعة ينتظر أن تنهض بالعمل فى العام القادم بعد أن كانت لدينا جامعة واحدة. ولا شك أن نشر العلم بين الناس عمل جليل مشكور بشرط أن يكون ذلك على أساس سليم مثمر، فى نظام يؤدى إلى التكوين الصحيح الذى يعرف به كل متعلم واجبه نحو نفسه ونحو معهده ونحو مواطنيه ونحو بلاده. فهل عرف متعلمونا اليوم واجبهم الحق وأدوه بعض الأداء؟ الرد على ذلك فيما أذاعه معالى وزير المعارف السابق فى بيانه عن حالة المدارس الراهنة مما ملأ قلبه وقلب المصريين حسرة على ما أصاب معاهد التعليم من انتكاس وتدهور وفوضى يؤسف لها كل الأسف.

وعندى أن الأمر فى ذلك راجع إلى شئ واحد طالما نبهنا إليه فى مقالاتنا فى مجلة الرسالة الغراء التى لا تدخر وسعا فى العمل للنهوض بأبناء هذه الأمة.. وفى تقاريرنا التى شرفنا برفعها إلى وزير المعارف منذ أكثر من ربع قرن من الزمان من سنة ١٩٢٣ إلى اليوم.. بل وفى مؤلفنا «التعليم والمتعطلون فى مصر» الذى سبق أن أصدرناه منذ ثلاثة عشر عاما والذى ذكرنا فيه فى صراحة وجلاء فى صفحات متعددة منه أن المدرسة المصرية أهملت واجبها فى تربية تلاميذها وتكوينهم تكوينا خلقيا صحيحا.. وأن واجبها يقتضيها أن توجه عنايتها الخاصة إلى ذلك، لأن التكوين الخلق هو الدعامة الحقيقية للتنشئة، وهو الذى ترعاه رعاية تامة كل الأمم فى تكوين أبنائها، وهو الذى وجهنا إليه الله تبارك وتعالى فى وصف نبيه الكريم بقوله «وإنك لعلى خلق عظيم» وهو الذى عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

نبهت مرارا وتكررا فى أكثر من ربع قرن من الزمان إلى ضرورة العناية بالتكوين الخلق فى المدارس، ورفعت التقرير

تلو التقرير إلى المسئولين ناصحا ومنبها ومنذرا، ولكن الجميع كانوا يبحثون مندفعين وراء المناهج ووراء العلم فقط دون الأخلاق. ولقد جاء فى تقريرى المرفوع سنة ٢٨ إلى وزير المعارف لما بعث يسأل كبار رجال التعليم عن المناهج ما يأتى :

يا صاحب المعالى : مشكلة التعليم فى مصر مشكلة معقدة يهتم لها الشعب وتهتم لها الحكومة اهتمامها بأهم أمور الدولة ؛ لأنها أساس من الأسس العامة فى بناء النهضة، وفى نظرى أن مسألة المناهج ليست أهم شعب تلك المشكلة ؛ فهناك نظم التعليم وما فيها من عيوب، وهناك المدرسون وكفاياتهم، وهناك التعليم فى مجالس المديريات، وهناك الارتباط بين التعليمين الأولى والابتدائى، وهناك مسألة تشجيع الكفاءات الخ الخ » . وجاء فى هذا التقرير « لا أرانى مغاليا إذا قلت إن روح المنهج الجديد هى هى بعينها روح المنهج القديم، فالمدرسة الابتدائية وكذا الثانوية لا زالت منفصلة تماما عن البيئة المحيطة بهـا .. ونظرية حشد الأدمغة بالمعلومات البعيدة عن الحياة لازالت متجسمة فى منهجها الجديد، ولا زال كثير من التلاميذ يبغضون المدرسة وذكرها وكل ماله مساس بها، ولم يعمل المنهج الجديد شيئا فى سبيل تحويل وجهة نظر التلاميذ والأهلين عن الوظائف والتوظف الخ الخ »

وجاء فى مؤلفى سابق الذكر صفحة ١٩٣ تحت عنوان عيوب التعليم الحاضر ما يأتى :

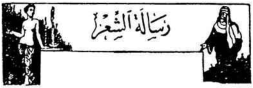
« هذا والمعلم القديم الذى باشر العمل فى المدارس المصرية منذ عشرين سنة ولا يزال يباشره إلى اليوم يشعر بالأسف العميق أيضا ؛ إذ يحس أن روح الجد والعمل من ناحية التلاميذ قد انقلبت إلى روح استهتار وقلة اكتراث وكسل يصحبها ميل شديد إلى الأخذ بأكبر نصيب من المتعة واللذة وحياة الطراوة والهزل، حتى حار فيهم المربون وضاقوا بهم ذرعا واستولى اليأس من إصلاحهم على قلوب الكثيرين، وأصبحت الحالة لا تطاق بين جدران المدارس بسبب ما يوجد من الاستهتار والرعونة والخروج على المبادئ الأساسية المرعية بين التلميذ ومعلمه — وأن الفوضى التى تنتاب المدارس أحيانا من خروج على النظام والآداب وإتلاف لبعض أثاث المدرسة مما يتناول كرامتها وكرامة أساتذتها لمما تحزن له النفس ويهلع له القلب، وهذه حالة ستؤدى حتما إلى تدهور خلق أشنع مما تقاسيه البلاد الآن إذا لم تجد اليد القوية الحازمة الرادعة التى تضع الأمور فى نصابها فتعيد إلى المدرسة كرامتها وتجعل أساس المعاملة بين التلميذ وأستاذه ومدرسته الاحترام الحقيق المشوب بالعطف الأبوى .. يقابله فى الوقت نفسه حب بنوى » هذا إنذار قدمته منذ ثلاثة عشر عاما المسئولين فلم يستمع له أحد، وقد تحقق اليوم مع الأسف الشديد ما تنبأت به . وعلاوة على ذلك فقد أفردت الباب الرابع كله فى مؤلفى السابق الذكر لموضوع تكوين الأخلاق بالذات، وأبنت فيه كثيرا ما للتربية الأخلاق من قيم ونتائج، كما رسمت فيه خطة للاصلاح الخلق

وإنى لازلت أقرر — والحزن الذى ملأ قلب معالى وزير المعارف السابق وقلوبنا اليوم يملأ قلبى من سنين عديدة — أن الحالة المحزنة التى وصلت إليها المدرسة المصرية اليوم ترجع إلى إهمال العوامل النفسية والخلقية التى تؤثر أعظم التأثير فى تكوين الناشئين . تلك العوامل التى نبهت إليها من زمن بعيد فلم يأبه لنصيحتى أحد فأصبحنا نقاسى اليوم نتائجها السيئة المريرة حائرين منزعجين مستفسرين متسائلين

أمرتهمو أمرى بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

لقد أصبحنا اليوم على أبواب بحث جديد فى حالة التعليم تجريه معالى حسونه باشا وزير المعارف وهو الرجل الذى يقدر الأخلاق الفاضلة حق قدرها، ويشرف عليه ذلك الرجل النابغة الذى كرس حياته لبناء مجد الوطن رفعة على ماهر باشا الذى تفخر به مصر كلها والذى أفخر شخصيا بأنه من بين مئات الكبراء المفكرين الذين أهديت إليهم مؤلفى سابق الذكر « التعليم والمتعطلون فى مصر » كان الرجل الوحيد الذى تكرم فقرأه بعناية وأثنى عليه الثناء الجميل فكان ذلك مما شجعنى على أن أعاود الكرة فى الكتابة اليوم فى هذا الموضوع الجليل . وفقه الله ووفق جميع العاملين لما فيه خير هذه الأمة إنه سميع مجيب

طنطا — عبد الحميد فهمى مطر



تكريم صيدح بدمشق

« زار دمشق فى خريف عام ١٩٥١ شاعر المهجر الكبير الأستاذ جورج صيدح فأقام له — النادى العربى بدمشق — حفلة « تكريمية » كبرى جمت العدد الأكبر من شعراء دمشق وأدبائها وشبابها المثقف ، وها هى إذى قصيدة الأستاذ أنور العطار التى حيا بها صديقه الشاعر الأستاذ جورج صيدح باسم دمشق ، تتلوها قصيدة المحتفى به فى حفلة تكريمه »

دارة العرب*

فلسطين ! يا دنيا المجادة والحب   ويا مهبط الإلهام والحلم العذب
عليك سلام العرب يندى مواجعا   ويشرب دمع العين غربا إلى غرب
تطوف بك الذكرى ويهفو لك الهوى   كأنى فيك الجسم خلواً من القلب
بنفسى وأهلى أرضها وسماءها   ويا لهفى للسهل منها وللهضب
حننا إليها وهى ملء ضلوعنا   كأن رؤاها حائمات على قرب
فديتك لم أمعنت فى الهجر والقلى   وعشت على صد وأسرفت فى العتب
ولم رحت لا تلوين إلا على النوى   أمن أمل رحب إلى أمل نهب !
ديار الهوى لا زالت مخضرة المنى   ترف على مغناك فينانة العشب
أراك بعين الحب طيفا مجسدا   يقاسمنى كربى ويغفر لى ذنبى
فهل لفنا الماضى خيالا على المدى   وألفنا كالهدب يعلق بالهدب
أيا روضة الأحباب لولاك ما ارتوت   جفونى ، ولا روتك بالهاطل الصب
ولا طاف بى التذكار حلوا كأنما   أعيش به فى عالم مونق رحب
خيالك فى عينى وذكراك فى فمى   وبى منك ما يغرى المحب وما يصبى
لأنت هوى قلبى الذى منه الهوى   وعلله بالوصل كالعاشق الصب
وما غبت عن طرفى وإن بعد المدى   ولكننا فى الحب جنبا إلى جنب
وما ذكرتك النفس إلا تولهت   وهيمها برح فباتت بلا لب
وإن بتذكار الديار علالة   تروح عنها ما تعانى من اللهب
يهيج جواها الشوق والشوق عاصف   كأن على أنفاسه زفرة النحب
فيالك ذكرى ملؤها الوجد والأسى   مضرجة الأعطاف بالنوح والندب
دهتك من الدنيا كوارث جمة   وألقت بك الويلات فى مزلق صعب
وما غير الأيام مهما تفاقمت   بأعظم مما ذقت من فادح الخطب
أيغدو مطاف المجد نهبا مقسما   ولا تغضب العرباء للنهب والسلب
وكانت إذا نابت ديارا أذلة   تفجرت الأرواح بالسمر والقضب
حنانيك ربى ما ليعرب لم تفق   وما خلقت إلا من الشب والهب
فما بالها إن هاجها البغى لم تهج   وإن قرعت بالسب نامت على السب
أحقا توانت عن منازلة العدا   أصدقا ، وليت الصدق ضرب من الكذب
وهل غصب العادى ديار أحبتى   وقرت نفوس العرب طوعا على الغصب
فصبراً على البلوى وإن جل أمرها   وصبراً على الآلام والنوب الغلب
فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا   وتزدهر الأعواد فى المهمه الجدب
ويمرع قفر عمه المحل والبلى   كأنك منه فى نماء وفى خصب
ويرجع وجه السلم جذلان ناضرا   بحرب تلف الأرض بالطعن والضرب
إذا لم يكن فى السلم خير ونعمة   فما الخير إلا فى ممارسة الحرب
فبعدا لمن قد عاش فى الضعف والونى   وتبا لمان لا يفيق من الرعب
إذا دهمته الداهمات تلجلجت   به النفس وانهارت تقول له حسبى
ويا فوز من أسقى العدا أكؤس الردى   ولم يعى بالأيام نكبا على نكب
يغال شديد البأس بالحق جاهراً   ويختال فى وشى المخيلة والعجب

• • •

(*) من ديوان « وادى الأحلام » المائل للطبع

يا حاديا إما تيممت أرضها ❊ فعرج عليها وانثر الزهر فى الدرب
وسل أصيحابى إذا مر ركبهم ❊ يرون بنثر الزهر ما يزدهى صحبى
وطوف رباع الخلد تطواف عاشق ❊ حسير الأمانى وابك بالدمع السكب
وغن الحمى حتى يرق لك الحمى ❊ وينصت مشتاقا إلى نغم الركب
أطل وقفة فى الدار والثم ترابها ❊ فمن حقها أن تلصق الخد بالترب
وناج دماء أهرقت فى رحابها ❊ وسلسل لها وجدى وصور لها حبى
وقل يا ديارا مضها لاعج الأسى ❊ وأسلمها الباغى إلى الهم والكرب
أيا طول شجوى إن خلصت إلى المدا ❊ ولم ترجعى يا دارة العرب للعرب

• • •

ويا «صيدحا» أهدى فلسطين قلبه ❊ ورد الأذى عنها بعرقه العضب
وقدم أغلى الشعر مهرا لنصرها ❊ وما شعره إلا من اللؤلؤ الرطب
إليك أؤدى بعض ما تستحقه ❊ رفيفا من التحنان والنغم العذب
وأنت جدير بالدرارى فليتنى ❊ أصوغ بيانى من سنا الأنجم الشهب
ألست الذى ناجى الخلود بشعره ❊ ورفرف صداحا على الشرق والغرب
وعيتك فى أذنى نشيدا محببا ❊ تغلغل حلوا فى السويداء من قلبى

أنور العطار

يامهد الصبا أين الصدى

أم النسور ، تفرسى وتأملى ❊ أعرفت وجه القادم المتهلل ؟
هذا فتاك إلى متى نكرانه ❊ أو ليس فى لبد سمات الأجدل
ما عابه الجسم المهيض تبدلت ❊ قسماته والقلب لم يتبدل
هو من بزاة العرب جشمه السرى ❊ وأحاله صرف الزمان الحول
شرع القوادم للجهاد أسنة ❊ عشرا ، فإن يجهل عليه يجهل
ولوى الجناح على الخواق عله ❊ يخفى ضآلة ريشه المتهدل
الله يامهد الصبا ، أين الصدى ❊ يحكى متى أعيت لهاة البلبل ؟
غيرى ذكرت وقوفه وبكاءه ❊ ياليتنى بين الدخول فحومل !
أغشى الحدائق أستميل غصونها ❊ فتميل عنى كالرعيل الجفل
وأخالس الأزهار بعض طيورها ❊ فتصدنى وتبثها فى الشمأل
ذهلت عن الصب الذى رضع الهوى ❊ من ثديها ، والصب لما يذهل
أعرضت عنها ثم جئت فأعرضت ❊ حاشاك ياوطنى ترد السهم لى !
وأنا الذى قربت روحى للحمى ❊ وسجدت فى محرابه والهيكل
بدم الشباب خضبت ورد رياضه ❊ ورجعت أغسلها بدمعى المسبل

ما زلت أستجديه حتى رق لى ❊ « بردى » ومد ذراعه فى الجدول
غنى وثنى شاديا ومرحبا ❊ أيكون من خطباء هذا المحفل

• • •

لولاك يا نادى العروبة لم أقم ❊ من عثرة الآمال جد مؤمل
حييت فيك أحبتى فأجازنى ❊ نثر «المقفع» بعد شعر «الأخطل»
فكأننى أبصرت وجه (أمية) ❊ وسمعت (معبد) منشدا و(الموصلى)
لامست فى الأدب المخدر يقظة ❊ فتحت نواظره على المستقبل
بشرى لعشاق البيان أزفها ❊ نفض التراب عن التراث المهمل
وتحفزت (لغة الكتاب) لوثبة ❊ هدفت إلى النهج الجديد الأفضل
قد يصلح (العطار [١]) من شعرائكم ❊ ما أفسدته سياسة المستعمل
ويقوم من علمائكم من يلتقى ❊ وهو الأخير زمانه بالأول
إنى دخلت على عكاظ تطفلا ❊ لولا قيام المنبر لم أتطفل
شق التغرب فى الفصاحة شقة ❊ بينى وبين الناطقين المثل
فإذا أردت الشعر يجمع بيننا ❊ أرسلته عيا فلم أسترسل
أمضى وقلبى فى دمشق رهينة ❊ أودعتها قلب الثرى والجندل
لتقرت للأم الجراح لوانها ❊ شفعت بأختى من قضاء منزل [٢]
فى جيرة الشهداء حلت منزلا ❊ وأظنها أخذت تهيئ منزلى

جورج صيدح

---

(١) أنور العطار

(٢) توفيت فى دمشق أخت الشاعر عقب رجوعه من المهجر بأيام عديدة وقد قطن فى غيبته عن دمشق ثلاثين عاما



الافق الاعلى فى دراسة الهواء الجوى

تأليف الأستاذ عمر كامل الوكيل بك

ناظر مدرسة التعاون الإنسانى الثانوية بدمنهور
٢٠٦ صفحة من القطع الكبير .. الثمن ٥٠ قرشا

للأستاذ عبد القادر حميدة

قبل أن أتناول الحديث عن هذا المؤلف الذى بين يدى .. يجدر بى أن أتحدث قليلا عن البلد الذى لا ينى يقدم بين الفينة والفينة شاعرا عبقريا .. أو ناثرا فذا .. أو عالما جليلا .. أو رساما راسخا .. أو زجالا بارعا .. منهم من أتيحت له الفرصة فخرج بفنه على الناس .. ومنهم من تصدت له يد القدر فحجبت إنتاجه عن أعين الناظرين ..

وذلك البلد أعنى به دمنهور .. دمنهور التى أهدت إلى دولة الشعر — بالأمس القريب — زعيما من أقدر زعمائه .. وقائدا من أبر قادته .. أهدت المرحوم أحمد محرم .. إلى قراء العربية عامة .. ومتذوقى الشعر خاصة .. فوثب وثبته .. وصال صولته .. فانجحت نحوه الأبصار .. وكانت بمثابة الأشعة النفاذة .. كشفت خبايا نفسه .. وأظهرت معالم أعماقه .. فبدت إنسانيته الرائعة تتحلى بها فرائد نظمه .. وليس لدى ما أقوله عنه أبلغ مما قاله هو فى نفسه من قصيدة يخاطب فيها أمه التى كانت تحاول أن تصرفه عن النظم

أماه لولا الشعر أنظم دره ... ما كان لى هذا الثناء الطيب
سارت قصائده فأشرق مشرق ... بسنا كواكبه وأغرب مغرب
هذا لسانى ما يفل حسامه ... إن فل فى الروع الحسام الأشطب
كم شاعر ذرب المقالة غالب ... غادرته فى القوم وهو مغلب

تلك هى سطور فى أحمد محرم .. أو أحمد محرم فى سطور .. وسأتناول البحث والاستقصاء عنه فى مقال خاص منفرد — فى القريب — على صفحات الرسالة الزاهرة .. رحمه الله وحيا دمنهور التى أنجبته .. وأهدت غيره من الشعراء أمثال: محمد محمود زيتون ، إبراهيم محمد نجا — أبو النصر عبد الرحمن « شاعر الزعيم » — على قضيب

دمنهور التى أقحمت فى ميدان القصة الفنية القصيرة المركزة حشدا من الأقلام .. فملأت بطون الصحف اليومية والأسبوعية بالنادر من الأفكار .. وبالسلس من الأسلوب .. أذكر من أصحاب هذه الأقلام على سبيل المثال لا الحصر : محمد محمود زيتون ، إسماعيل الحبروك — محمد محمود دوارة — أمين يوسف غراب — عبد المعطى المسيرى — محمد على الليثى .. ودونهم كثير

دمنهور التى قدمت فى العام الماضى رسامها العبقرى .. بهاء الدين الصاوى .. بلوحاته الرائعة .. ومعرضه الفريد .. الذى يشهد بروعته وإبداعه كل من شاهده فى دار الأوبرا الملكية .. وتشهد عليه الداليات التى نالها

دمنهور التى قدمت كل هؤلاء — والتى تحفل بكثيرين دونهم ضربوا فى شتى نواحى الفن .. وساهموا بنصيب وافر فى نهضته — تقدم لنا اليوم .. الأستاذ عمر كامل الوكيل بك تقدمه لنا فى كتابه « الأفق الأعلى فى دراسة الهوى الجوى » والكتاب كما ينم عنه عنوانه .. مؤلف علمى يبحث فى الكون .. بيد أن القارئ لهذا السفر يمكنه أن يأتى بتعبير آخر فيقول « إنه مؤلف علمى أدبى » ذلك لأنه جمع بين غزارة المادة .. ورقة الأسلوب .. على غير ما تعودناه من مؤلفى الكتب العلمية حيث يتقيدون بأمانة النقل والاصطلاحات الموروثة .. فتغدو مؤلفاتهم وقد افتقرت إلى أهم العناصر أثرا فى إرغام الطالب المطلع على المتابعة والتقصى .. ذلك لأنها خلت من عنصر التشويق .. وهو القوة الممغنطة المتبادلة بين القارئ والمقروء .. والتى ما من شك فى أنه — أى القارئ — سيقع تحت تأثيرها فيجذب إليه قسرا — والتأثير سابق للجذب — ليأتى على محتوياته .. ويلتهم كل ما يحويه بين دفتيه دراسة وتمحيصا ..!!

ومؤلف هذا الكتاب — كما بدا لى خلال مناقشة أثرناها مما حول هذا المؤلف — ممن شعروا بهذا النقص فجاء كتابه فقيرا منه .. متخما باللفتات الدربية المشوقة .. غنيا بالعبارة الرصينة المحكمة .. وقد حرص على أن يمهد للشيء قبل أن يقدمه .. فاستطاع بذلك أن يشق به الطريق ممهدا إلى العقول والأفهام .!

إقرأ له « ص » (٥) حين أراد أن يقدم دراسة عن السماء :

« تلك هى السماء قبلة الدعاء . وباب الرجاء .. وملهمة الفلاسفة والشعراء.. ومستقر الملائكة ومعراج الأنبياء.. هبط منها الوحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وهو فى حالة بالغة حد الحيرة والقلق ليقول له مطمئنا ومعلما « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق » ويقول فى فقرة أخرى . « وللسماء يتطلع المظلوم شاكيا .. والمريض راجيا .. والظالم مستغفرا تائبا . فماذا أنت أيتها السماء ؟ القوى والعاجز والصحيح والعليل .. والشاعر والعاشق .. والعابد الزاهد والمجرم الأثيم .. كلهم يحنون إليك ويتقسمون فى رحابك .. ويلتمسون العطف والرحمة عند بابك .. ولعمرى إن لهم فيك جميل التسلية والعزاء .. حيث وجدوا لديك كنزا من المعرفة ومتسعا من الرحمة والحنان .. وخلاصا من الشدة والبلاء .. فليس بعجيب أن يولى الناس وجوههم صوب السماء ابتغاء الدعاء .. أو طالبين المتعة الروحية أو المزيد من العلم والعرفان. ولكن العجيب أن يسير بعض الناس مكبا على وجهه مغمض العينين « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

هذا أيها القارئ من ناحية الأسلوب والتمهيد .. وهما كما ترى عاملان أساسيان شيد على قاعدتيهما صرح ذلك البناء الكامل .. وإنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنهما الحافزان القويان على إيقاظ الشعور فى نفس القارئ .. ودفعه دفعا إلى الاستزادة من تلك المتعة الفكرية ليحلق فى عالم فسيح أطباقه وأغواره أدب ... !!

أما فيما يتعلق بموضوعات الكتاب فيكفيك أن تعرف أن مؤلفه صرف وقتا طويلا يدرس ويبحث ثم يستقرئ ويستنتج .. وقلما أغفل شاردة أو واردة إلا وتناولها بالفحص على ضوء معلوماته ودراساته .. وبهذا جاء الكتاب ناضجا من كل وجه .

وقد استعان فى تأليفه بعشرات قليلة من أقوال ونظريات واقتراحات كتبها بعض علماء الطبيعة وفلاسفتها من أمثال :

نيبولا Nepulau — كانت Kaut — لابلاس laplace
سير جيمس جينز Sir jeams jeaus صاحب كتاب « الكون الغامض » — هـ.ن رسل h,n Russel — ليتلتون lyttleton — ج . ملر G-Miller — ب . م . بك B,M peek — ملتون Melton — تشامبرلين Chamberlain .. وقد عقب على نظرياتهم واقتراحاتهم بآراء زادتها وضوحا وجلاء وقربتها إلى المدارك سهلة مستساغة . وفى الكتاب فصول كثيرة ممتعة طرقها المؤلف خليقة بأن يجد القارئ فيها لذة وفكرا ومعرفة ..

وحسبى أن أذكر منها : الكون — السماء — المجموعة الشمسية — الأرض — الشمس — القمر — المادة وتركيبها — الهواء — مولد الهواء — مكونات الهواء — ارتياد مناطق الجو — مناطق الجو — الحركة الوجية — النيازك أو الشهب — اللاسلكى — الصواريخ .. الخ ... وقد وفق الكاتب فى تناولها توفيقا يدعو إلى الإعجاب .. أما بعد : فهذا كتاب يعتبر فى مجموعه موسوعة علمية .. وقد كان بودى أن أوفيه حقه من الثناء لولا حرصى على ألا تخرج كلمتى من حيز « التقديم » إلى نطاق « الدعاية » .. وإنى لأدعو كل قارئ يدفعه النهم العلمى إلى التنقيب عن الجديد من الكتب .. أدعوه إلى مطالعته لما فى محتوياته أكثر من سبب يدعو إلى ذلك .. وإنى لأشعر بكثير من الفخر والغبطة إذ أقدم هذا المؤلف إلى من يريد أن يقرأه .. وإذ أعرفهم بعالم من دمنهور ينبغى أن يعرفوه ويقرأوا له .. كما أناشد الأستاذ الكبير عمر بك . أن يعجل بمولد « الجزء الثانى » من تلك السلسلة الطبيعية ليتسنى لكثير من الناس الإفادة منه فى فهم المسائل التى فاتهم تفهمها فى موضوعات العلوم لكثرة ما استغلق على القارئين فهمه من مسائلها ..

دمنهور — عبد القادر حميدة

البريد الأدبي

كلمة — سائر — وما يحيط فيها

اطلعت على ما نشر فى العددين ٩٦٠ و٩٦٧ من مجلة الرسالة الغراء حول كلمة سائر فأقول :

١ — جاء فى الصفحة ٦٤ من كتاب (فروق حق) أن (السائر بمعنى الباق. قال الشيخ تق الدين لفظ سائر بمعنى الجميع مردود عند أهل اللغة معدود من غلط العامة وأشباههم من الخاصة .. والالتفات إلى قول الجوهرى صاحب اللغة سائر الناس جميعهم فإنه لا يقبل ما ينفرد به . والحق أن كلا من المعنيين أى الجميع والباق ثابت لغة كما ذهب إليه الجم الغفير من الأذكياء . والجمع الكثير من الفضلاء هو السؤر بالهمز وهى بقية الشراب وغيره)

٢ — وورد فى الصفحة ٢٣ من كتاب البحاثة اللغوى — محمد عبد الجواد مانصه: سائر (أطالت درة الغواص وشرحها فى هذه الكلمة ولم يخرجا بنتيجة واضحة . وقد وقفت على كلمة موجزة للبغدادى فى ذيل الفصيح ص ٤ أثبتها هنا لوضوحها وجليل فائدتها وهى: جاء سائر القوم أى بقيتهم مأخوذ من سؤر الإناء وقال الجوهرى سائر القوم معناه جميعهم وذكره فى باب الياء . أقول إن الصحيح أن سائر بمعنى جميع ولا يبعد أن يستعمل بمعنى جميع البقية ويكون من ذوات الواو مأخوذا من السور لإحاطته . اه والثمرة أن سائرا يستعمل أحيانا بمعنى الجميع وأحيانا بمعنى البقية كلها .. والمقام كفيل بإظهار المراد فتخطئة أحد الاستعمالين خطأ)

٣ — وذكر فى هامش الصفحة ١٦٠ من شرح السيد الشريف على السراجية مع حاشية العلامة محمد شاه الفنارى نقلا عن تهذيب اللغات للإمام النووى وتهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى وشرح أدب الكاتب لأبى منصور الجواليقى ماأعيد نقله بالحرف الواحد (قال الإمام النووى فى تهذيب اللغات قال الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى: استعمال سائر بمعنى الجميع مردود عند أهل اللغة معدود فى غلط العامة وأشباههم من الخاصة. قال أبو منصور الأزهرى فى تهذيب اللغة: أهل اللغة اتفقوا على أن معنى سائر الباقى قال الشيخ ولا التفات إلى قول الجوهرى صاحب اللغة سائر الناس جميعهم فإنه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط فى هذا من وجهين : أحدهما فى تفسير ذلك بالجميع، والثانى فى أنه ذكره فى فصل (سير) وحقه أن يذكر فى فصل (سأر) لأنه من السؤر بالهمزة وهو بقية الشرب وغيره — إلى هنا كلامه .

فعلى هذا التقرير لا يناسب أن يقول عن سائر ماعداه بهذا المقام لأن المتبادر منه على تقدير كون السائر بمعنى الباقى نفس الشئ بل المناسب أن يقول عما عداه. كما لا يخفى لكن استعمال السائر بمعنى الجميع سائغ ذائع ، والغزالى استعمل السائر بمعنى الجميع فى مواضع كثيرة ولم ينفرد بها الجوهرى بل وافقه عليه الإمام أبو منصور الجواليقى فى أول كتاب شرح أدب الكاتب والشارح المحقق قدس سره تبعهما واستعمل السائر بمعنى الجميع ههنا ومعنى قوله عن سائر ما عداه عن جميع ما عداه)

هذا ولا أريد الآن أن أستقصى أكثر من ذلك

أحمد الظاهر

خطآن لا يغتفران

وقعت الأهرام فى خطأين اثنين لا يحسن السكوت عليهما وإن كان بعض كبار الكتاب ينساق انسياقا إليهما :

فأما الخطأ الأول فقد وقع فى عنوان مقالها المنشور فى ١٢ — ٢ — ١٩٥٢ وهو « معنى الكبرياء القوى » أى بتذكير كلمة « الكبرياء » مع أنها مؤنثة . وبما أنه لم يشر إلى تصحيح هذا الخطأ أحد من حضرات من نصبوا أنفسهم لهذا الغرض النبيل فإنى أستأذنهم فى التنبيه إليه مشيرا إلى قول التنزيل الحكيم « وتكون لكما الكبرياء فى الأرض » فقد أنث الكبرياء حتى مع وجود فاصل

وأما الخطأ الآخر الذى كان حافزا لى على تصحيح الخطأ الأول فقد وقع فى مقال الأهرام المنشور فى يوم ٢٣-٢-١٩٥٢ إذ وردت به هذه العبارة « إن حكومة المحافظين لا تكاد تنقل

قدما إلا وتؤخر قدما ». وهذا التعبير خاطئ لا يفيد معنى التردد الذى تمنيه الأهرام بل هو يفيد العكس تماما فتقديم قدم وتأخير القدم الأخرى يفيد الإقدام لا التردد .. لأن السير الطبيعى يقتضى حتما تقديم رجل وتأخير الرجل الأخرى ، فكيف يستعمار هذا السير الطبيعى للتردد ؟ لعل الأهرام ظنت أن كلة « أخرى » الواردة بالمثل المعروف « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » نعت لكلمة « رجلا » المحذوفة ، وهذا الظن أيضا يجانب الصواب ، والصحيح أن كلة « أخرى » نعت لكلمة « تارة » المحذوفة ، والتقدير « أراك تقدم رجلا تارة وتؤخرها تارة أخرى » . وكان حريا بالأهرام إذن أن تقول « لا تكاد تنقل قدما إلا وتؤخرها » وأذكر أنى نبهت إلى هـذا الخطأ الذى وقع فى كلة نشرتها الأهرام لكاتب ألمعى بها منذ أكثر من عام . وإنى وإن كنت من أنصار التيسير لا يمكن أن أستسيغ هذا الخطأ الكبير

عبد الحميد عمر

لمن هذا الشعر ؟

كتب الأستاذ محمد منصور خضر فى الرسالة الغراء فى العدد ٩٧٣ يسأل من قائل هذا الشعر

نديمى غير منسوب إلى شئ من الحيف

ويذكر أنه وجده فى كتب التصوف ومنها طبقات الشعرانى منسوبا إلى الحلاج فى حين أنى نسبته إلى الحسين الضحـاك فى كتابى « نديم الخلفاء » سلسلة اقرأ عدد فبراير سنة ١٩٥٢ ويطالبنى بأن أذكر روايتى له

وإنى أشكر للأستاذ محمد منصور هذا الاهتمام وتلك العناية بالبحث والاستقصاء ، وقبل أن أشير إلى المصادر التى اعتمدت عليها أذكر أننى قلت فى أحد فصول الكتاب عن مجموع شعره أن كثيرا من شعر الحسين بن الضحاك نسب إلى غيره

وليس هذا الشعر الذى ذكره الأستاذ محمد منصور هو وحده المتنازع فيه ففى الكتاب أيضا شعر وقع فيه التنازع

وأول مصدر رويت فيه الأبيات — التى يسأل عنها — للحسين بن الضحاك هو كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى ترجمته فى الجزء السادس طبعة دار الكتب . والمصدر الثانى محاضرات الراغب الأصفهانى ج١ ص ٣٣٣ . والمصدر الثالث ديوان أبى نواس رواية حمزة بن الحسين الأصفهانى المطبوع فى ص ٧ ولم يذكر إلا البيت الأول وقال عنه : مما أضيف إلى أبى نواس من شعر العراقيين قول الحسين بن الضحاك الخليع ... الخ والمصدر الرابع هو كتاب أخبار أبى نواس لابن منظور ج ١ ص ٢١٨ وفيه نسب الأبيات لأبى نواس ثم قال : وتروى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك الخليع

هذا من ناحية الرواية والمصادر — أما من ناحية التحقيق فإن الحسين بن الضحاك توفى سنة ٢٥٠ هـ وأبا الفرج صاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ هـ والحلاج قتل سنه ٣٠٩ فأبو الفرج إذن كانت سنه خمسة وعشرين عاما يوم مقتل الحلاج فهو معاصر له . وما يسمونها فتنة الحلاج كانت مشهورة لا تخفى على أبى الفرج لأنه كان متصلا برجال الدولة ومولعا برواية الشعر والأخبار

وللتوفيق بين ماذكره الشعرانى فى طبقاته وكتب التصوف وبين ماذكرته كتب الأدب أقول إن الحلاج كان يحفظ هذه الأبيات فتمثل بها حينما خرج يتبختر فى قيده ، وذلك منه ومن غيره كان كثير الحدوث. وظاهر أن الأبيات وقصتها هى لصاحب الخمرية فى وصف الخمر ألصق وبنسبتها إليه أولى وعلى كل حال هناك جملة لا تحصى من الشعر العربى متنازعة.. وعندى من أمثلتها مئات النماذج . ويجد الأستاذ محمد خضر مثلها مئات

عبد الستار أحمد فراج



انتحـــــار

للكاتب الفرنسي جورج موربير

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه يدرك الإنسان المعنى الذي تنطوي عليه كلمات فلوبير : هناك بقاع في العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن سان رومانو وا أسفاه تشبه أيضاً ثمرة لذة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذي يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس ... ففي جنبات المدينة تقابلك الوجوه الذاهلة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفة ... وفي كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : الا ليتني وضعت على رقم ١٧ ... آه من هـذا الأحمر الملعون ، لقد كسب عشر مرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن في البلد كله من يلقي أدنى التفاتة إلى المناظر الساحرة الأخاذة التي تنبث فيه . كانت الأرض عندهم «روليت» ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و٤٠ و ٥٠

وقد كنت أنا أيضاً ضحية هذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغاً لم يكن جد كبير، غير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نومي ذات صباح كيلا أجد معي سوى اثني عشر فرنكاً مع أني مدين لصاحب المنزل الذي أقيم فيه بخمسة عشر فرنكاً ؛ ولذلك اختبرت مسدسي فألفيته يزخر بست رصاصات قوائل كانت في ظني كافية لتمزيق رأس فارغ كرأسي

وفتحت نافذتي . كان « صباحي الأخير » رائعاً جميلاً .. فالسماء زرقاء صافية، والأمواج خضراء هادئة ، والنسيم يعبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطئ لأملأ صدري المنفعل بهذا النسيم النقي الفواح ... بيد أني كررت عائداً بعد أن سرت قليلاً ، إذ أحسست جوعاً شديداً ، وفي أثناء عودتي ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية، وهي صحيفة مثيرة، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها أثناء الطعام فاسترعى نظري عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بخاطري دون أدنى انفعال : « هنا سيعلن خبر موتي أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفاً محرر هذا الباب الذي سيعلن نعيي في هذه الصحيفة

وعلقت عيناي بخبر انفرد بعلامة الصليب في صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو جاكوبسن — أمريكي الجنس معلقة في إحدى شجرات النخيل الذي ينمو على الشرفة وقد وجد في جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك طبعاً »

جوسو جاكوبسن ؟ إني أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنباً إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معه رأيته يتنهد في عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدي وهزها بحرارة ونظر إلى بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماماً ... وداعاً ياصديقي» ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه إذن ، كيف أمكن أن يدسوا في جيبه على ثلاثة آلاف فرنك وماذا تعني بحق الشيطان هذه الكلمة « طبعاً »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق..يالي من غبي! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا المال في جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسباب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائي رحت أفكر ! كم ياترى يدسون في جيبي إذا حزمت أمري وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت بقدر ما خسر جاكوبسن ... وسربت إلى رأسي فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتاً ؛ وذهبت بعدئذ إلى صـــاحب الفندق وأكدت له أني سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :

هذا إذا بقيت حياً ..

— إنا نثق فيك كل الثقة ياسيدي

— إذن فأقرضني مائة فرنك حتى المساء ... إني أنتظر

وصول مال من باريس

— بكل سرور ياسيدي

وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت — بروية وإمعان — خطة السير في انتحار يعود علي بربح وفير

وفي مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابي وقد أبنت للملا أني جئت أجازف بآخر ما بقي لي ... وأني سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت المائة فرنك ... فبدا على الانزعاج في بادئ الأمر.. ثم انقلبت أتململ غاضبا حنقا ... وأخيراً بدوت كالذاهل المأخوذ

ورثى لحالي شاب قامت بيني وبينه معرفة ، وسألني ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أني أفلست، فأخذ يواسيني ويخفف عني ثم قال :

— لا تيأس فما زالت عندك نفقات السفر إلى وطنك . إن الكازينو — في هذه الحال — يتطوع ... فقاطعته بيأس قائلا :

إن السفر الذي أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة » فنظر إلي مشدوها وقال :

لا أحسبك جادا في هذا القول ... آمل ألا تكون قد جننت

فظللت صامتاً ، ثم أدرت له ظهري ورحت أجيل بصري ذاهلا في أرجاء المكان بضع دقائق .. وقد لمحت أصحاب « الكازينو » يراقبونني من طرف خفي . وانفرط عقد اللاعبين في الساعة الحادية عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير.

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلقي بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعي أصوات كمان حنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجعلت وجهتي — وقد أجمعت أمري — حرجا قريباً من الكازينو، بقعة هادئة تعد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذي أزمعته ؛ وكان ثمة تمثال من الرخام لغانية من غواني البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدوري

ودوت فجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد المقاعد في وضع مهمل وانتظرت . واقتربت مني أصوات وسقطت على عيني المسبلتين ظلال المقبلين

— يا إلهي ! إنه هو ...

— يالمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين معاً

وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم ... أسرع قبل أن يرانا أحد . تبا له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوقي فشعرت كأنما اندس شيء في جيبي

هنالك ارتعدت قليلا ... وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عيني ببطء شديد ، ونهضت من مضجعي بعناية وحرص ناظراً في تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد حولي . وفي عدم اكتراث محنق أخذت قبعتي والمسدس الذي كان ما زال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفاً

وكان المحتشدون ينظرون إلي كأني حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام ... وقلت في غضب:

— عجباً لكم ياقوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب مني أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال في تلعثم واضطراب :

— سيدي الفاضل ... أرجو ... هل ... إذا ... ماذا تقصد بهذه الهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتعكيرك الأمن

— لتعكيري الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت الجمع ظهري واتخذت سبيلي ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديوني من الآلاف الثلاثة التي أخذتها مقابل قيامي بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال، ولكني لم أكن قد فكرت قط في إعادته إذ اعتبرت أن هذا المال من حقي ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمناً كبيراً لانتحاري

وقد عمدت إلى إقناعهم ببقائي في سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس

وقد سمعت أن المبلغ الذي دس في جيبي قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

مطبعة الرسالة